

## خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

### د. جمال شقرة

إذا كان القرن التاسع عشر قد شهد أقصى مدى لتوسع الإمبراطورية البريطانية فإن القرن العشرين قد شهد ذبولها وتراجعها ثم إنهيارها، حيث قُدر للإمبراطورية التي فرضت هيمنتها على ربع مساحة الكرة الأرضية - حتى استحقت بجدارة لقب الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس - قُدر لها أن تتخلى عن مكانها ومكانتها لإمبراطورية "غربية" جديدة صاعدة، هي الإمبراطورية الأمريكية، وليصبح بعد ذلك تاريخها الإستعماري مجرد قصة من قصص قيام وسقوط الإمبراطوريات.

وإن كانت عوامل تفكيك وهدم الإمبراطورية البريطانية<sup>(١)</sup> قد بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر، إلا أن معاناة بريطانيا من نتائج دخولها حربين عالميتين في النصف الأول من القرن العشرين، كانت من العوامل التي أثرت كثيراً على حركتها التاريخية ومستقبلها في النصف الأخير من نفس القرن.

وتجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة لتأثير الحروب، فإن الإمبراطورية عانت من تصاعد النزعة القومية، وإنطلاق حركات وثورات التحرر الوطني في مستعمراتها في آسيا وأفريقيا، حيث هبت شعوبها لمواجهة استمرار النهب الاقتصادي الإستعماري لمواردهم الطبيعية، خاصة بعد أن تفاقمت الأزمة الاقتصادية الاجتماعية وأخذت تفكك بهم، وكذلك دفعهم إلى الثورة إنتهاك المستعمرين لخصوصيتهم والإعتداء المستمر على ثقافتهم.

على أية حال لم يكن النصر الذي حققته بريطانيا في الحرب العالمية الثانية مرادفاً للإحتفاظ بنفوذها الإمبراطوري على حد تعبير

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

توريليه بارينت Torele Barent صحيح أن ألمانيا الهتلرية هُزمت هزيمة ساحقة، لكن النصر في حد ذاته لم يكن هو المهم بل الظروف التي واكبت إحراره، والنتائج التي أعقبت ذلك (٢).

ولقد كان من أبرز هذه النتائج إشتداد منافسة الولايات المتحدة الأمريكية ليس لبريطانيا وحدها، بل لبريطانيا وفرنسا ولأوروبا كلها .  
واللافت للنظر أن الإمبراطورية البريطانية في سبيل ضمان الفوز بصورة المنتصر، كلفت نفسها مالا تطيق، فانخفض احتياطها من الذهب، وأجهضت بنيتها وقدرتها الإقتصادية، وزاد اعتمادها على الواردات والمساعدات الأمريكية .

وفي يوليو ١٩٤٥ ووجهت حكومة العمال بمذكرة الإقتصادي الشهير كينز KINZ التي شخصت "الهاوية الإقتصادية" التي كانت تواجهها بريطانيا، وهو ما كان يعني الخضوع للبائس للمساعدات الأمريكية (٣).

وعلى الطرف الآخر ، انطلقت الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق معجزة إقتصادية، حيث قفز الرقم القياسي للإنتاج إلى الضعف ، من ١٠٠ مليار دولار عام ١٩٤٠ إلى ٢٠٠ مليار دولار عام ١٩٤٥، وأصبحت تنتج بعد الحرب ٥٠% من الإنتاج العالمي للسلع والخدمات، وزاد الإنتاج الزراعي بنسبة ٣٣% عام ١٩٤٥ مقارنة بسنوات ما قبل الحرب، كما زاد إنتاج القوى المحركة بجميع أنواعها زيادة غير مسبوقه، وهبط عدد العاطلين إلى ١٠ مليون متعطل بنسبة ١,٩ % عام ١٩٤٥ مقابل ١٦,٥ % قبل الحرب، وزاد أيضاً إحتياطي رأس المال من ٤٥ مليار دولار عام ١٩٤٠ إلى ٨٩,٥ مليار دولار عام ١٩٥٠ (٤) .

لقد إستحوذت الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، على ثروة ضخمة، وامتكت مصادر " القوة الطاغية " على حد تعبير "ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب (٥) وتجاوزت

مصالحها حدودها الإقليمية إلى كل مكان في الكرة الأرضية، وأصبح الدولار الأمريكي مقياساً للعملات العالمية وانتشرت البنوك ورؤوس الأموال الأمريكية، وكذلك السلع والمنتجات المختلفة إنتشاراً واضحاً. وحماية لمصالحها هذه زادت النفقات المخصصة للدفاع، فأنفقت عام ١٩٥٠ حوالي ١٤,٥٠ مليار دولار على شئون الدفاع (١) .

وبديهي كان لا بد أن يتطابق التوزيع العالمي للموارد الإقتصادية مع توزيع القوة العسكرية، ومناطق النفوذ في العالم، وهو الأمر الذي استغرق عدة سنوات بعد إنقشاع غيوم الحرب ؛ حاولت الامبراطورية البريطانية - والفرنسية - أن تتشبث خلالها، بوهم الانتصار الزائف وعاشت صحوة الموت بكل ماتحمله صحوة الموت أو المراهقة المتأخرة من مظاهر، بينما كان القطب الغربي الجديد الذي بزغ في سماء النظام العالمي وساحة العلاقات الدولية، ينافس ويزاحم وأحياناً يضغط ويصارع حليفته العجوز، ليوقظها من أحلام اليقظة، ويكرهاها على الإعتراف بالأمر الواقع، وبأن دورها كإمبراطورية قد إنتهى، وأن عليها أن تترك مكان الصدارة لمن يستحقه ولمن أحرز النصر الحقيقي .

ولقد بدأت المساومة والمنافسة والمزاحمة قبل الحرب، وتصاعدت حدتها مع تصاعد حدة المعارك، وتآزم وضع الإمبراطوريات القديمة، وأصبح "الصراع بين الحلفاء" من حقائق الأمور بعد أن صممت المدافع وخمدت النيران .

كان صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية قد توقعوا تورط أوروبا في حرب عالمية ثانية، وقدرُوا إنها ستكون فرصتهم الذهبية لتحقيق الحلم الأمريكي، لذلك قرروا المشاركة فيها والسعي لسحق ألمانيا وإيطاليا حتى لا تُضطر إمبراطوريتهم الوليدة إلى مواجهة إمبراطوريات جديدة فتية، سيكون الصراع معها عنيفاً مجهداً ومكلفاً. أما

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

الإمبراطوريات القديمة "بريطانيا وفرنسا" فإنه من الأفضل أن تخرج سالمة من الحرب، وفي الوقت نفسه ضعيفة منهكة بائسة غير قادرة على الاحتفاظ بمستعمراتها (٧).

وتتعدد الأدلة على تخطيط الولايات المتحدة الأمريكية لوراثة الإمبراطوريات القديمة ، كما يمكن بيسر رصد السياسات والإجراءات التي نفذتها الإدارة الأمريكية أثناء الحرب وبعدها من ذلك : —

- إنه عندما طلب رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل من الولايات المتحدة الأمريكية، بعض القطع البحرية، بمقتضى قانون "الإعارة والتأجير" حتى يتمكن من تعويض النقص الذي أحدثته الغواصات الألمانية في الأسطول البريطاني، طلب الرئيس الأمريكي روزفلت في المقابل ، أن تتنازل بريطانيا للولايات المتحدة عن مجموعة الجزر التابعة لها ، الواقعة قرب الشواطئ الأمريكية (٨) .

- وعندما طلب " تشرشل " كذلك من الرئيس الأمريكي ، زيادة المساعدات حتى تتمكن من تحمل المجهود الحربي ، طلب روزفلت في المقابل تسهيلات مرور لبلاده في جميع أنحاء الإمبراطورية البريطانية (٩) .

- وكذلك عندما طلب تشرشل أن يعتمد الحلفاء ، إستراتيجية تقضي بالإنهاء من ألمانيا أولاً ، ثم التفرغ بعد ذلك لليابان ، كان المقابل هذه المرة، طلب روزفلت بإعادة إقتسام بترول الشرق الأوسط الذي كانت تسيطر على معظمه ، الإمبراطورية البريطانية (١٠) .

- ومن الوقائع ذات الدلالة ، إنه لما طلبت بريطانيا تزويدها بمدرعات أمريكية جديدة، لكي تستكمل إستعدادها للمعركة الفاصلة التي كانت تخطط لها والتي وقعت فعلاً في العلمين أغسطس ١٩٤٢ استجابت الإدارة الأمريكية على الفور ، وشحنت فرقة دبابات قوامها ثلاثمائة دبابة حديثة من طراز " جرانت " ولكن معها أطقم من العسكريين الأمريكيين

بحجة أن نقل هذه الدبابات يتطلب وجود هذه الأطقم بصورة مباشرة في الشرق الأوسط (١١) .

- كما سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إنشاء القواعد العسكرية في المملكة العربية السعودية "قاعدة الظهران"، وفي الخليج العربي "مطار البحرين" وفي مصر قاعدة "الهايكستب" البرية والبحرية ، وكذلك مطار "باين" (١٢)، وكان يقع في نفس المكان الذي يقع فيه الآن مطار القاهرة ؛ هذا بالإضافة إلى المشاركة الأمريكية الفعلية بحملة "تورش" TORCH التي نزلت بها القوات الأمريكية تحت قيادة دوايت أيزنهاور في شمال إفريقيا ؛ ومن المغرب بدأ الإستعداد للقفز نحو صقلية (١٣). كذلك أصرت الولايات المتحدة على إطلاق "ميثاق الأطلنطي" كشرط أساسي لتكثيف مساعدتها ضد هتلر وبالطبع لم يكن إصرارها صادر عن مثالية مبرأة من المطامع إنما كان هدفها تشجيع شعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات ضد الإستعمار القديم حتى يفتح الباب أمامها لتحقيق أهدافها (١٤) .

ولقد استشعر ونستون تشرشل مغزى السياسات الأمريكية وخطورة ودلالة الإجراءات التي ينفذها الأمريكان، كما أدرك أن "الدور في إبتلاع الإمبرطوريات واصل حتماً إلى الإمبراطورية البريطانية" (١٥). كما إعترض بعض وزرائه على الأسلوب الذي يتعامل به تيودور روزفلت مع رئيس وزراء الإمبراطورية البريطانية، وهو ما عبر عنه ذلك الوزير إرنست بيفن بقوله "إن روزفلت يتعامل مع تشرشل بأسلوب المرابي شيلوك مع مدينيه في مسرحية شكسبير ، تاجر البندقية" (١٦)

وتجدر الإشارة إلى أن الجنرال شارل ديغول استشعر هو الآخر المناقسة والمزاحمة والضعف الأمريكية، وأدرك حقيقة دوافع الولايات المتحدة الأمريكية من وراء مشاركتها في الحرب، وتيقن من سعيها لإقصاء فرنسا بعيداً في الظل وسجل مخاوفه هذه في مذكراته، حيث أشار إلى أنه "أمام

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

ضخامة الموارد الأمريكية وطموح تيودور روزفلت كنت أشعر أن استقلال فرنسا على المحك . . (١٧) وتعرض ديجول أثناء الحرب وبعدها لخصومة روزفلت بسبب معارضته الصريحة للمخططات الأمريكية (١٨) .

لقد عاند تشرشل وقاوم وكان يردد إنه : " لم يصبح رئيساً لوزراء ملك بريطانيا حتى يقوم على تصفية إمبراطوريته . . " (١٩) . كما قاوم الجنرال ديجول ولكن روزفلت كان في عجلة من أمره ، وكان واعياً إلى أنه إن كان عليه أن يجرّد بريطانيا من ممتلكاتها، ويُقصي فرنسا بعيداً، فإن عليه أن يفعل ذلك أثناء الحرب وليس بعدها (٢٠) .

لذلك إندفع ليُلقي بأوروبا في الظل الأمريكي على حد تعبير أرنولد توينبي مؤكداً أن القرن العشرين هو القرن الأمريكي (٢١) كما إندفع نحو الشرق الأوسط وعينه على البترول الذي يتدفق بغزارة ملفتة للنظر من باطن أراضيه ؛ وتشير واحدة من الوثائق الأمريكية إلى أن روزفلت كتب توجيهاً رئاسياً بتاريخ ٨ مارس ١٩٤٣ إلى جيمس لانديس مدير العمليات الاقتصادية في الشرق الأوسط ، أشار فيه إلى أهمية بترول المنطقة ، وخطورة موقعه الإستراتيجي فالشرق الأوسط منطقة للولايات المتحدة مصالح حيوية فيها، ولذلك فالحرص على هذه المنطقة وتجنّبها ضرور فلاقل الماضي أمر له أهمية متزايدة . . (٢٢) .

ورغم ما ورد في الوثيقة من أن الولايات المتحدة لا تتوي التدخّل في الشؤون الداخلية لبلدان الشرق الأوسط، وإنها ستحرص على أن يكون موقع وموارد هذه المنطقة في خدمة كل الأمم دون تمييز، وإنها ستعمل كذلك على صيانة مصالح كل الأطراف، ورغم ماورد من إنها ستوقف الميزات التي يختص بها طرف – المقصود الإمبراطورية البريطانية – على حساب باقي الأطراف . فإن الأيام القليلة التي أعقبت صدور هذا التوجيه وطوال

د. جمال شقرة

الخمسينيات أخذت الولايات المتحدة تعمل على الإستحواذ على نصيب الأسد من الثروات النفطية للمنطقة، كما اقتصت نفسها بالمواقع الإستراتيجية المهمة فيها (٢٣) .

كانت مصر من أبرز وأهم المواقع الإستراتيجية التي اتجهت إليها الولايات المتحدة الأمريكية، لا لتوقف الميزات التي سلبتها بريطانيا واقتصت نفسها بها، بل لتزاحمها وتوسع نطاق نفوذها الإقتصادي والسياسي في بلد توقعت الإدارة الأمريكية أن يتحول بعد الحرب إلى بؤرة من أخطر بؤر الحرب الباردة.

وإن كانت الرغبة في الحفاظ على روح التعاون والإنسجام الشامل داخل التحالف الغربي في الدفاع عن مصر ، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، قد خففت روح العداء في المستويات العليا من مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الهيمنة البريطانية في مصر (٢٤) إلا أن هذا لم يمنع من إقتناص الفرص والإستفادة من مشكلات البريطانيين في مصر لصالح الأمريكيين (٢٥). كان لوى هندرسون الذي أصبح رئيساً لإدارة الشرق الأدنى (NEA) بالخارجية الأمريكية عام ١٩٤٧ متيقظاً جداً لذلك (٢٦) فعلى الرغم من أنه كان يوافق على أن إستمرار إحتفاظ بريطانيا بقاعدة عمليات إستراتيجية في شرق البحر المتوسط إلا أنه كان يرى أن وجود القوات البريطانية في مصر ، أصبح يُشكل عبئاً ليس فقط على بريطانيا وحدها وإنما أيضاً على الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي بوجه عام " فوجود هذه القوات بات يُسبب الجو في أنحاء الشرق الأدنى والأوسط بسرعة وإلى درجة أنه ما لم يتوفر في المستقبل القريب مؤشراً ما على أنه سيتم سحب القوات البريطانية من مصر إنسحاباً غير مشروط ، وفي موعد محدد يكون أقرب ما يمكن من الناحية العملية، فإن علاقات الغرب مع العالم العربي قد تُضار بصورة خطيرة ولسنوات عديدة قادمة" (٢٧) .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

وكان هندرسون يردد إعتقاده بأنه من الأهمية القصوى أن تحاول الولايات المتحدة بشكل سري أن تجد وسيلة ما لإقناع بريطانيا العظمى بأن تعلن إنها تعتزم سحب قواتها من مصر إنسحاباً غير مشروط وفي موعد غير محدد<sup>(٢٨)</sup> كما كان يرى أن جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس لا يُمثل مشكلة خطيرة، رغم ما يتردد من أن عدد هذه القوات يصل إلى ٩٠,٠٠٠ جندي، وأن هناك كميات هائلة من العتاد البريطاني المخزون، تصل قيمتها وفقاً لتقديرات البريطانيين إلى حوالي مليار دولار<sup>(٢٩)</sup>.

غير أنه ونتيجة لبزوغ الحرب الباردة أسكت ولو مؤقتاً صوت هندرسون والذين حذوا حذوه، وحل اتجاهها جديداً في السياسة الأمريكية يهدف إلى تدعيم التعاون الأنجلو - أمريكي وقبول استمرار الوجود البريطاني في المنطقة، بل إن وزارتي الخارجية والدفاع كانتا حريصتين على أن تتحمل بريطانيا مسؤوليتها كاملة في الدفاع عن السويس<sup>(٣٠)</sup> وفي نفس الوقت تسعى الولايات المتحدة مستفيدة من الاستقرار والانفتاح فتوسع من أنشطتها الاقتصادية في مصر.

ولعل منح بنك التصدير والإستيراد الأمريكي أول قرض لمصر وكان قدره (٧,٢٥ مليون دولار) وذلك في ١٦ يوليو ١٩٤٧، وكذلك تعيين س. بنكس تاك السفير الأمريكي السابق في مصر كأول أمريكي في مجلس إدارة شركة قناة السويس، كان بمثابة مؤشرات دالة على تزايد النشاط الاقتصادي الأمريكي في مصر<sup>(٣١)</sup> وهو نشاط لم يكن يُسعد البريطانيين الذين كانوا يرتابون من تزايد التسلل الأمريكي على مستوى الأفراد والنشاط الاقتصادي في مصر.

وعندما جرت مباحثات البنجاجون في واشنطن في الفترة ما بين ١٦ أكتوبر و٧ نوفمبر ١٩٤٧، وكان هدفها تنسيق الإستراتيجية السياسية

د. جمال شفرة

والإقتصادية في الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط بين بريطانيا والولايات المتحدة ، أتفق على الإدماج الرسمي للشرق الأوسط في نطاق دفاعي أمريكي آخذ في الإتساع، مع تسليم وموافقة أمريكية على المسؤولية الخاصة لبريطانيا في الدفاع عن المنطقة (٣٢) .

وبالطبع يسهل رفع التناقض الذي يلمسه البعض في القرارات السابقة، أقصد التناقض بين رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في التسلل إلى الشرق الأوسط في القلب منه ، وتغيير سياستها والموافقة على إبقاء القوات البريطانية في قناة السويس ، لدرجة تجاهل مطالبة مصر بالجلء ، الذي تقدمت به في يوليو ١٩٤٧ إلى هيئة الأمم المتحدة .

على أية حال لم يكن المقصود أن تُصبح الولايات المتحدة ، الشريك الصغير للبريطانيين في الشرق الأوسط ، ولا أن تُصبح في الوضع الذي يجعلها تتبع خطى البريطانيين بصورة عمياء (٣٣) بل إن المقصود أن تستمر بريطانيا في تحمل مسؤولية الدفاع عن الشرق الأوسط كجزء من مفهوم شامل لمقاومة محاولات التسلل السوفيتي إلى المنطقة (٣٤) .

وإذا كان البريطانيون قد ظفروا من محادثات " البننتاجون " هذه بموافقة أمريكية على إستمرار وجود قواتهم في قناة السويس ، فإنهم قد أقرروا بتوسيع نطاق النشاط الإقتصادي الأمريكي في الشرق الأوسط ، ولم ينجح هذا اللقاء في إزالة مشاعر الريبة والشك بين الطرفين ، وهي مشاعر كانت محسوسة بشدة خاصة بين موظفي المستويات الدنيا الذين كانوا يتنافسون نيابة عن حكومتيهما على النفوذ والسلطة خاصة في مصر (٣٥) .

وتجدر الإشارة إلى أن إقامة حلف شمال الأطلنطي "الناتو" NATO في ربيع ١٩٤٩ كان إلتزاماً أمريكياً بمفاهيم الأمن الجماعي والإحتواء ، كما كان بمثابة إشارة ذات دلالة على إتساع نطاق الأمن القومي الأمريكي (٣٦) . ولعل هذا يفسر ماورد بوثيقة مجلس الأمن القومي الأمريكي رقم ١/٤٥ التي

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

أقرها الرئيس الأمريكي " ترومان " يوم ١٨ أبريل ١٩٤٩ بإقامة قاعدة جوية أمريكية في " أبو صوير " بمصر ، وكانت وثيقة الأمن القومي الأمريكي رقم ٤/٢٠ قد قالت بإمكانية نجاح الجيش الأحمر " السوفيتي " في الوصول إلى القاهرة ، وتهديد إمدادات النفط والقضاء على أكبر قاعدة غربية في الشرق الأوسط " قاعدة قناة السويس " (٣٧) وأشارت الوثيقة الأولى إلى أن خطط الطوارئ الحربية الراهنة تتطلب توفير هجوم استراتيجي نووي قوي بأسرع ما يمكن عقب بدء الإشتباكات (٣٨) .

وفي عام ١٩٤٩ رفضت الولايات المتحدة الأمريكية ربط خطط الدفاع عن مصر بخطط الدفاع العالمي ، وكانت وزارة الخارجية البريطانية تسعى إلى تحقيق ذلك ولم يكن موقف الولايات المتحدة هذا يعني مساندة للمطالب المصرية ، كما لم يكن يعني تردها في إدخال مصر في نطاق أممي أمريكي ، بل العكس هو الصحيح تماماً (٣٩) .

لقد كان الميل للتصدي للإتحاد السوفيتي بترتيبات دفاع جماعية تقوم فيها الولايات المتحدة بدور رئيسي ، مبدأً مقررًا ثابتاً في الإستراتيجية الأمريكية إبان الحرب الباردة (٤٠) ، وعلى الطرف الآخر كان البريطانيون مترددين في إقامة أحلاف مشتركة حيث كانوا يفضلون إلزاماً أمريكياً بسيطاً بالتعاون ، وهي الإستراتيجية التي كان من شأنها أن تسمح باستمرار " الهيمنة العسكرية البريطانية " في مصر ؛ كانوا في الواقع يفضلون أن يعملوا في مصر " كوكلاء " للأمريكين أكثر من أن يسلبهم الأمريكيون فرصة الظهور في صدارة المسرح " على حد تعبير " جيفري أرونسن " (٤١) .

وسعيًا وراء المزيد من التغلغل الأمريكي داخل مصر والشرق الأوسط فقد قررت الولايات المتحدة توسيع نطاق المساعدات الاقتصادية المحددة الأطراف والثنائية الأطراف للعالم العربي وإسرائيل كذلك ، وذلك بهدف مقاومة الثورات المعادية للغرب (٤٢) .

وفي أواخر عام ١٩٤٩ شعرت الإدارة الأمريكية إنها في حاجة إلى سياسة أكثر نشاطاً في مصر ، ولقد برز ذلك بوضوح في المحادثات الأنجلو - أمريكية التي أجراها مسئولون متوسطو المستوى في واشنطن يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٩ (٢٣) .

ومع أن الذين شاركوا في هذه المباحثات من الطرفين أنكروا أية نية للتنافس أو عرقلة أحدهما جهود الأخرى في شؤون الشرق الأوسط (٢٤) ، إلا أن التنافس والتزاحم والضغط للإزاحة استمر على أرض مصر وفي غيرها من بلدان الشرق الأوسط .

وخلال عام ١٩٥٠ ظل الموقف الأمريكي من الوجود العسكري في مصر كما هو رغم بروز الفكرة القائلة بأن بقايا الإمبريالية تضر برويتها الجديدة للعلاقات الدولية . غير أنه في أواخر نفس العام بدا الخلاف واضحاً بين بريطانيا والولايات المتحدة خلال المباحثات العسكرية المشتركة التي جرت بينهما في نوفمبر ١٩٥٠ ، حيث اتضح أثناء هذه المباحثات الاختلاف الكبير بين الاهتمامات والمبادئ الإستراتيجية لكل منهما ، فبينما كانت بريطانيا مهتمة "بالحلقة الداخلية" للشرق الأوسط ومصر على وجه الخصوص ، كان يُحرك الولايات المتحدة "هوس" إحتواء الإتحاد السوفيتي والقلق على النفط (٢٥) .

وفي عام ١٩٥١ وبعد حرب كوريا ، كانت الولايات المتحدة لا تزال تعتقد أن الوجود البريطاني في قناة السويس هو رمز لقوة الغرب، ومن المفترض أن يحقق درجة من الإستقرار في المنطقة ، لكنها كانت تدرك المأزق الحاد الذي يمثله ضعف بريطانيا فيما يتعلق بسياسة الإحتواء (٢٦) .

وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي كانت فيه القوة البريطانية تتراجع، كانت بعض حكومات الشرق الأوسط تعرض على الولايات المتحدة مقترحات إيجابية تستهدف دعم الوجود الأمريكي في بلدانهم،

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

فالمملك سعود والأترك كانوا يطلبون معاهدات تحالف، وبعض المصريين كانوا يطلبون مساعدة الولايات المتحدة لهم بالقوات والأسلحة للتخلص من الإستعمار البريطاني البغيض (١٧) .

وهكذا .. فبينما كانت قوة الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط تتراجع، وبينما كانت تتدفع حكوماته نحو الإمبراطورية الجديدة ، كان الإهتمام الأمريكي يتزايد يوماً بعد يوم بهذه المنطقة الحيوية ، وبدأت المساعدات الأمريكية تهطل على اليونان وتركيا والدول العربية. كما بدأ تنفيذ برنامج الأمن المتبادل الأمريكي MSP (١٨) وبرنامج مساعدات الدفاع المتبادلة MDAP (١٩) .

عند هذا الحد بدأت الولايات المتحدة تشعر أن المشكلات السياسية التي تعاني منها مصر نتيجة لبقاء الإستعمار البريطاني على أرضها تدفع حتماً إلى نظام جديد يحل محل القوة البريطانية الآخذة في الإضمحلال .

وجاء قرار " أوتوا " والإقتراح بقيادة الشرق الأوسط في أعقاب الإئتفاق البريطاني - الأمريكي الذي تم في الثامن من سبتمبر ١٩٥٠ حول قيادة الشرق الأوسط (٢٠) إلا أن هذا الإقتراح كان مجرد إجراء لوقف تآكل النفوذ البريطاني والمعروف أن مصر لم توافق عليه ، وأن الولايات المتحدة رغم موافقتها كانت مدركة أن الهيمنة البريطانية باتت أثراً من الماضي يعتمد عليها (٢١) .

وعندما ألغيت معاهدة ١٩٣٦ ، نُظر إليها من جانب الولايات المتحدة على إنها مؤشراً على " تدهور وضع الغرب في الشرق الأوسط كله وليس في مصر وحدها " (٢٢) ، وإن كان إلغاء المعاهدة ، والإجهاض السياسي لقيادة للشرق الأوسط قد أدى إلى نوع من تطابق الآراء - ولو بصفة مؤقتة - بين الولايات المتحدة وبريطانيا إلا أن الخلافات في الرؤية الإستراتيجية إستمرت وزادت بشكل لافت للنظر ، وكانت زيارة رئيس الوزراء

البريطاني " ونستون تشرشل " إلى واشنطن يناير ١٩٥٧ بهدف تضيق دائرة الخلاف وإجراء تقويم على مستوى عال للسياسة البريطانية - الأمريكية (٥٣) .

وفي هذا اللقاء اتضح لصناع القرار في الولايات المتحدة أن مسألة السويس بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ مسألة ملحة للجانب البريطاني ، وإنها مثلت لهم تهديداً من حيث إعتبرات الامبراطورية والمكانة بنفس القدر الذي هي به من حيث إعتبرات الجغرافيا السياسية (٥٤) .

وفي نفس الوقت الذي كانت تدور فيه المنافسات ، كانت الولايات المتحدة تطور إستراتيجيتها العسكرية الإقليمية الخاصة بها ، بعد أن أرهقها عجز بريطانيا عن تسوية الصراع على مصر ، وكان قوام هذه الإستراتيجية إقناع الإدارة الأمريكية إنه في حالة نشوب حرب عامة ، فإن المصالح السياسية والعسكرية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط وتشمل إيران ، والمملكة العربية السعودية ، وغيرهما ، لن تقتصر على أمن قناة السويس ، والقواعد المجاورة لها ، ولذلك تبلورت قناعة الولايات المتحدة بأن أفضل التدابير تأثيراً في هذه الحالة هي الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ككل ، وأن التدابير التي تهدف إلى الإحتفاظ بمناطق نفوذ في تركيا والخليج العربي ستكون مفتاح الدفاع عن منطقة السويس (٥٥) .

على أية حال شهدت بداية الخمسينيات تحول الوجود البريطاني في مصر من قوة إمبريالية إلى وكيل للقوة الأمريكية ، وكان البريطانيون يدركون ذلك جيداً ويشعرون بالإستياء ، إلا أنهم كانوا مضطرين لبذل جهود مستمرة لضمان قدر أكبر من التعاون الأمريكي معهم ، لكي يحتفظوا " بهيمنتهم " و " هيبتهم " (٥٦) .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

ولقد رفضت الولايات المتحدة قبيل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إخضاع أولوياتها الإستراتيجية الخاصة لأولويات بريطانيا مما أدى إلى تصاعد التباعد والتنافر بينهما .

فبينما كانت القاهرة تحترق ، وصل رجل المخابرات المركزية الأمريكية الشهير " كيرميت روزفلت " في مهمة عاجلة ، واتسمت زيارته بأهمية بالغة من عدة جوانب لعل أهمها : —

أولاً : أن إيفاد واشنطن مبعوث أمريكي ليشارك في تعويم سفينة الدولة المصرية الغارقة مثل تحولاً خطيراً في السياسة الأمريكية تجاه مصر .

ثانياً : أن يكون هذا المبعوث هو " كيرميت روزفلت " فإن معنى ذلك تزايد دور وكالة المخابرات المركزية في تنفيذ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية .

ثالثاً : الأهم أن هذا الإهتمام والإنهماك الأمريكي في الشؤون المصرية كان يقابله تدهوراً مماثلاً في النفوذ البريطاني في مصر (٥٧) .

وفي مارس ١٩٥٢ وصل غضب وكرهية البريطانيين من التدخل الأمريكي في شئون مصر مداه ، وذلك حينما نقل السفير الأمريكي في لندن إقتراحاً أمريكياً يتضمن إعترافاً بريطانياً بفاروق ملك لمصر والسودان، ويتضمن كذلك ضرورة الإنسحاب الفوري لكل القوات البريطانية من مصر (٥٨) . كما استفزتهم وضايقتهم الرحلة التي قام بها " هنري بايرود " رئيس إدارة الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية إلى الشرق الأوسط ، خلال شهري مايو ويونيه ١٩٥٢ (٥٩) .

على أية حال بحلول أواخر يونيه ١٩٥٢ كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد نجحت في أن تقوض تماماً تأثير البريطانيين على الملك الذي أخذ يتطلع إليها لتأييده ، بعد إقناعه بقدرته على تجاهل البريطانيين ، كما

نجحت في أن تصبح وسيطاً بين الملك والباشوات ، فضلاً عن نجاحها في تقدير خطورة الأوضاع في مصر ودراستها لإحتمالات التغيير (١٠) .

ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية ، لم تعرف القائد الحقيقي لثورة يوليو ١٩٥٢ ولم تعرف الكثير عن أهداف التنظيم الذي قلب الأوضاع في مصر رأساً على عقب فإنها أبدت الضباط ، وحالت دون تحرك بريطانيا ضدهم ومنعتهم من تنفيذ الخطة RODYO وفضلت أن يُنظر إلى ما حدث على أنه أمر داخلي . وعن طريق السفير الأمريكي في مصر " جيفرسون كافري " ضغطت على الملك " فاروق وأقنعتة بالموافقة على طلبات الضباط الشبان ، والخروج من مصر بدلاً من تعريض نفسه لخطر جسيم ، ثم بدأت تتسج علاقاتها مع النظام الجديد ، بإعتبارها زعيمة العالم الحر ، وراهنّت على إرتمائه بسرعة في أحضان الغرب (١١) .

وإذا كان موقف الولايات المتحدة من الضباط الأحرار قد أزعج بريطانيا ، فإن الولايات المتحدة ، بدأت تشعر أن بريطانيا هي العقبة الوحيدة التي تقف أمام ارتباط مصر " اللواء نجيب " بعجلة السياسة الغربية ، وبدأ يتردد في أوساط دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة - على سبيل التهكم والسخرية - أن القوات البريطانية في قناة السويس تشبه إلى حد كبير " المرتزقة " نوي المعاطف الحمراء في الثورة الأمريكية (١٢) .

ولعل مما له دلالة بشأن التنافس الأنجلو - أمريكي على مصر ، إعتراض بريطانيا على مشروع الولايات المتحدة لبيع الأسلحة للضباط ، فبمجرد أن علمت بزيارة " علي صبري " إلى واشنطن للإتفاق على صفقة أسلحة ، إنزعجت بشدة وعارضت بشكل قاطع أن تبيع الولايات المتحدة السلاح لمصر ، ورددت الدوائر البريطانية إنه : " جرى العُرف أن نبيع نحن لمصر . . . إنها سوقنا . . . " (١٣) .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

على أية حال ، تزخر وثائق الأمن القومي الأمريكي NSC ووثائق الخارجية الأمريكية FRUS بالكثير من الأدلة التي تثبت تبدل التصورات والرؤى الإستراتيجية الأمريكية ، ونزوعها إلى الإستقلال عن الإستراتيجية البريطانية ، حيث بدأت الولايات المتحدة تخطط لدور مصري كجزء من التخطيط الدفاعي الغربي ، وذلك بصورة مستقلة عن التوجهات والسياسات البريطانية<sup>(١٤)</sup> .

جاء في تقرير لوزارة الخارجية في شهر أكتوبر ١٩٥٢ أن " تعاون مصر مع الغرب في ظل توجيه بريطاني هو شيء غير مرجح ، بفعل القوة القاهرة في حال نشوب حرب مع الإتحاد السوفيتي " .<sup>(١٥)</sup> ، لذلك مارست الولايات المتحدة ضغوطاً شديدة على بريطانيا أثناء المفاوضات الخاصة بالسودان ، ولقد أغنانا " كافري " البحث عن أدلة لإثبات ذلك ، حيث أشار في واحد من تقاريره إلى أنه رغم مقاومة المفاوض البريطاني فإن بريطانيا حتماً ستستسلم ، أي تُتهي المفاوضات وتخرج من السودان " ونحن ندفعها إلى ذلك " .<sup>(١٦)</sup> ، ورداً على ما كان يردده البريطانيون من أنهم أنجزوا أعمالاً طيبة في السودان ، وإنها تمثل مفخرة للإمبراطورية البريطانية ، كان " كافري " يؤكد ، أن ذلك ليس بالشيء المهم ، وأنه سيظل إستعماراً ، والإستعمار أمر عفا عليه الزمن ولن يساعد مصر أو السودانين أو بريطانيا نفسها . . .<sup>(١٧)</sup> .

يهمنا أن إتفاق ١٢ فبراير ١٩٥٣ الخاص بالسودان قد أدى إلى دعم الدبلوماسية الأمريكية الصاعدة في الشرق الأوسط ، ويهمنا أن هذا الإتفاق كان دليلاً على تنامي الدور الأمريكي في مواجهة تراجع الدور البريطاني . وعندما بدأت المفاوضات المصرية البريطانية يوم ٢٧ أبريل ١٩٥٣ ، اتجهت الولايات المتحدة ، رغم رفضها الدخول كطرف في المفاوضات ، إلى دعم الضباط ، وكان يحركها طوال فترة المفاوضات رغبتها في إزاحة

بريطانيا من مصر لإعتقادها أن هذه الخطوة ستدفع الضباط إلى الارتباط بالغرب<sup>(٦٨)</sup> . وبالطبع كان تأييد واشنطن للنظام الجديد في مصر وشروعها في دعمه مادياً ومعنوياً متسقاً مع أهدافها ومصالحها في الشرق الأوسط والتي يمكن إجمالها حسبما ورد صراحة في الوثائق الأمريكية فيما يلي : -

أولاً : تحقيق الإستقرار في مصر والشرق الأوسط .

ثانياً : إيجاد حل للخلاف المصري - البريطاني .

ثالثاً : السعي لإشراك مصر في ترتيبات الدفاع المشترك عن الشرق

الأوسط .

رابعاً : تحقيق تسوية سلمية بين مصر وإسرائيل<sup>(٦٩)</sup> .

لذلك ظلت الولايات المتحدة تضغط على بريطانيا بهدف إنهاء المفاوضات وحل مشكلة قاعدة القناة<sup>(٧٠)</sup> .

ولقد عبر " إيدن " عن ضيقه من موقف الولايات المتحدة من المفاوضات المصرية البريطانية ، في رسالة أرسلها إلى " إيزنهاور " أول إبريل ١٩٥٣ ، حذره فيها من أنه " لا يمكن السماح لمصر بأن تكرر أسلوب " مُصدق " في تأليب الولايات المتحدة على بريطانيا ."<sup>(٧١)</sup> وطلب منه ضرورة إشعار المصريين : " بأن ثمن المعونة الأمريكية هو التوصل ، إلى إتفاق مع بريطانيا ، يكفل إستمرار إستخدام قاعدة قناة السويس . . . "<sup>(٧٢)</sup> .

وتُشير الأدبيات البريطانية ، وكذلك وثائق الخارجية البريطانية F.O إلى حنق المفاوض البريطاني من الضغوط الأمريكية التي دفعت ببريطانيا ، إلى تقديم التنازل تلو الآخر<sup>(٧٣)</sup> .

على أية حال تؤكد لبريطانيا ، أثناء المفاوضات وبعدها :

أولاً : أن الولايات المتحدة الأمريكية ، باتت أكثر إنشغالاً بالشؤون

الداخلية لمصر .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

ثانياً: أنها باتت مصممة على الإضطلاع بدور قيادي في تنظيم نطاق

من نطاقات الحرب الباردة في الشرق الأوسط .

ثالثاً: أن المرونة الأمريكية أغرت المصريين بأن الولايات

المتحدة " وحدها " قادرة على تقديم المعونات الاقتصادية

والعسكرية لمصر<sup>(٧١)</sup> .

ومن ناحية أخرى ، انهمكت دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة

الأمريكية قبل زيارة وزير الخارجية الأمريكية لمصر في مايو ١٩٥٣ في

مراجعة شاملة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وهي العملية التي

نتج عنها تزايد فقدان الثقة في البريطانيين ، والإتجاه إلى توسيع النفوذ

الأمريكي في المنطقة لوقف تدهور العلاقات الأمريكية - العربية<sup>(٧٢)</sup> .

وفي السادس من مايو ١٩٥٣ قدم " هارولد ستاسن " مدير الأمن

المتبادل والمسئول عن برامج المعونات العسكرية والاقتصادية ،

تقريباً إلى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، تناول فيه

الوضع في الشرق الأوسط لعل أهم ما جاء فيه :-

أولاً: أن مكانة الغرب في الدول العربية تدهورت بصورة مطردة منذ

الحرب العالمية الثانية .

ثانياً: أن هناك حاجة ملحة لإجراءات عاجلة وحاسمة .

ثالثاً: نتيجة للخوف من قوى التخريب الداخلية ، والضغط المعادية

للغرب الخارج فإن الأهداف الأمريكية في المنطقة ينبغي أن

تهدف إلى :-

- العمل على تشجيع الحكومات المستقرة والعلاقات السلمية .
- توسيع التجارة والتنمية الاقتصادية .
- بذل المساعدات للإقتصاديات المكتفية بذاتها .
- تشجيع العلاقات الودية مع الغرب .

- التطلع إلى مشاركة أكبر من جانب شعوب الشرق الأوسط في الدفاع عن العالم الحر وعن بلدانهم بوجه خاص .
- للتعاون النشط والفعال من جانب دول المنطقة في حال نشوب حرب شاملة (٧٦) .

ويستمر تقرير " ستاسن " ليؤكد على أنه مع تنامي إدراك الولايات المتحدة لمسئوليتها في الشرق الأوسط ، فقد أصبح من الضروري لها أن تتبنى رؤية أكثر تحديداً لما هي مستعدة لعمله ، ولما هي مستعدة له . وبالطبع فإن هذه الرؤية تستند على وتخدم المصالح القومية الأمريكية وليس البريطانية (٧٧) .

وبعد عودة " دالاس " من زيارته لمصر ، أخذت نغمة الفصل بين السياسة الأمريكية والبريطانية تعلو وتتردد بكثرة في أروقة وزارة الخارجية الأمريكية "فالولايات المتحدة الأمريكية وإن كانت لا تخجل من صلاتها الوثيقة ببريطانيا ، إلا أنها لا تقبل السياسة البريطانية بصورة آلية " . يقول دالاس: "إننا نشارك المملكة المتحدة البريطانية تراثاً ثقافياً ودينياً ، وهو ما يعطينا وجهة نظر مماثلة إزاء معظم المشكلات ، وذلك في الوقت الذي تحنفظ فيه بحق ممارسة التقرير المستقل تماماً في كل الحالات . . . ومن الخطأ أن يقول أحد أن المملكة المتحدة تقود الولايات المتحدة من أنفها . . . " (٧٨) .

والأهم من ذلك أن " دالاس " اقترح بوضوح إستبعاد النفوذ والجيوش الإستعمارية من الشرق الأوسط ، على أن يتواكب ذلك مع دور أكبر للسياسة الأمريكية (٧٩) . كما أكد على أن استمرار بقاء القوات البريطانية في الشرق الأوسط يؤدي إلى عدم الإستقرار ، وأن الولايات المتحدة ترتكب خطأ كبيراً إذا ما ارتبطت بالسياسات الإستعمارية (٨٠) .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

هكذا اتجهت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد عودة " دالاس " من منطقة الشرق الأوسط ، إلى انتهاج خط مستقل عن البريطانيين ، إن لم يكن متناقضاً معهم. كما تقرر الإستمرار في سياسة الإحتواء ، بحيث يتم ملء الفراغات الإستراتيجية في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا بتحالفات إستراتيجية جديدة (٨١).

لذلك تحركت الإدارة الأمريكية لتوسع نطاق نفوذها ولتحقق فكرة الحزام الشمالي (باكستان - إيران - تركيا - العراق ) ، وكان البريطانيون ينظرون إلى التحركات الأمريكية بإعتبارها سياسة أمريكية مستقلة لن تضر فحسب بما تبقى من نفوذ بريطانيا في المنطقة بل وتتعارض أيضاً مع إستراتيجيتها الدفاعية التي تركز على قاعدة قناة السويس (٨٢) .

ولقد فشلت مباحثات الثلاثة الكبار في " برمودا " أوائل ديسمبر ١٩٥٣ ، ولم يقتنع " إيدن " بالتصور الأمريكي الخاص بأهمية الوصول إلى إتفاق مصري - بريطاني (٨٣) . ونفس المصير كان من نصيب مباحثات " تشرشل وإيدن " مع " إيزنهاور ودالاس " في يونيو ١٩٥٤ ، بل وصل الأمر إلى حد تهديد الرئيس الأمريكي بأن الولايات المتحدة ستفصل عن لندن ، وتتبع سياسة مستقلة عن التوجهات والإهتمامات البريطانية (٨٤) . وإن كان البعض قد لاحظ حدة التنافس وتسارعه بين الإمبراطورية الأيالة للسقوط والإمبراطورية الجديدة الصاعدة ، بعد صعود " أنتوني إيدن " إلى رئاسة الوزراء في أبريل ١٩٥٥ ، وفسر ذلك بالنفور وعدم القبول الذي وقع بين " إيدن " وبين الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس ، إلا أنه بدراسة الوقائع التي سيطر فيها ما هو شخصي على ما هو موضوعي ، اتضح أن نسبة تأثير موضوعات وجوهر الخلاف أعلى بكثير من تأثير العامل الشخصي ، فالخلافات كانت جميعها حول

الإستراتيجيات والسياسات التي حاولت كل دولة تطبيقها بغض النظر عن مشاعر الحب والكراهية .

وجدير بالذكر أن هذا النفور والتباعد الشخصي يعود إلى ما قبل رئاسة أنتوني إيدن عندما كان وزيراً للخارجية ، ففي أول لقاء جمع بينه وبين جون فوستر دالاس في يوليو ١٩٤٢ ، كان إنطباع " إيدن " غير جيد ليس عن دالاس وحده بل عن الأمريكيين بصفة عامة "فهم لا يعرفون سوى القليل جداً عن أوروبا ومن عبث الأقدار بالنسبة لمستقبل العالم ، أن تقرر آراء الولايات المتحدة غير المدروسة مستقبل القارة الأوروبية . . ."<sup>(٨٥)</sup> .

ونتيجة لهذا الحكم ، كان " إيدن " يرى ضرورة أن ترتقي الدبلوماسية البريطانية بنفسها ، وتكون كفؤة للتعامل مع الوضع الجديد<sup>(٨٦)</sup> ولم يختلف رأي ألكسندر جادوجان<sup>(٨٧)</sup> الذي حضر هذا اللقاء ، عن رأي " إيدن " حيث كتب في مذكراته حول هذا اللقاء : " تناولت الغذاء في شقة "أنتوني إيدن " مع " جون فوستر دالاس " وكان " دالاس " من النوع الأكثر تشوشاً من الأمريكيين الذين يتصورون أنهم يفهمون في كل شيء والذين لا طائل منهم . . ."<sup>(٨٨)</sup> . وعندما التقى إيدن بـ " دالاس " في إجتماع سان فرانسيسكو يوم الإعلان عن إنشاء هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ ، لم تتغير ملاحظاته حول " دالاس " ولم تكن بأي حال من الأحوال جيدة<sup>(٨٩)</sup> .

وقد بلغت كراهية " إيدن " لـ " دالاس " ذروتها ، خلال النزاع حول معاهدة السلام اليابانية التي تم التوصل إليها أواخر عام ١٩٥٢ ، وكان الخلاف بين الولايات المتحدة وبريطانيا حول موقف طوكيو من الصين الشعبية قد تسبب في تأجيل المعاهدة أكثر من مرة ، فبينما كانت الولايات المتحدة تعارض بشدة إعراف اليابان بالنظام الشيوعي في الصين ، وبالتالي تعارض إقامة علاقات تجارية بين البلدين ، كانت بريطانيا ترى أن يكون لليابان علاقات تجارية مع الصين لأن ذلك سيعزز التجارة البريطانية في

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

المنطقة . وأثناء الاجتماعات الأولية اتفق " دالاس " مع الجانب البريطاني ، على أن الطريقة الوحيدة للتوصل إلى إتفاق مقبول بين بلديهما تكمن في "الوعد " بالأ يمارس الجانبان أي ضغوط على اليابان ، فيما يتعلق بموضوع الصين قبل توقيع المعاهدة ٠٠ " (١٠) . ولكن " دالاس " أضطر تحت الضغط الشديد الذي تعرض له في مجلس الشيوخ الأمريكي لخداع البريطانيين ، فلكي يربح المعاهدة سمح بنشر رسالة " يوشيدا " الشهيرة يوم ٦ يناير ١٩٥٢ ، مع بداية مناقشة مجلس الشيوخ للقضية ، وهي الرسالة التي دعمت موقف الولايات المتحدة الأمريكية ، وتم التصديق على المعاهدة وبالطبع غضب الطرف البريطاني بشدة وشعروا أن " دالاس " ضلهم وعرضهم لسخط أعضاء البرلمان البريطاني ، وبدأ ينتشر إحساس داخل أروقة وزارة الخارجية البريطانية بأن " دالاس " شخصية لا يمكن الوثوق بها (١١) .

وتجدر الإشارة إلى أن " إيدن " التقى بـ " أيزنهاور " في لندن ، عقب نشر رسالة " يوشيدا " بوقت قصير ، وكان " أيزنهاور " في طريقه إلى واشنطن ليصبح مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة ، بعد أن استقال من قيادة حلف الناتو NATO . وسأله " إيدن " : على من يا ترى سيقع إختياره لمنصب وزير الخارجية ؟ وبالطبع لم يكن هذا السؤال من الأسئلة التي يمكن توجيهها لمرشح للرئاسة الأمريكية ، وحاول " أيزنهاور " الهروب من الإجابة ، لكن " إيدن " واصل ضغطه وإبصاره ، ثم باغته بأنه يأمل ألا يقع إختياره على " جون فوستر دالاس " لأنه لا يستطيع العمل معه (١٢) .

يعلق " دونالد نيف " على تصرف " إيدن " بقوله : " بغض النظر عن الغطرسة التي اتسمت بها ملاحظة " إيدن " فقد أرتكب حماقة دبلوماسية وخطأ يتنافى مع أبسط قواعد العرف الدبلوماسية ٠٠ " (١٣) ومع أن " أيزنهاور " نكر في مذكراته إنه غفرها له ، واعتبرها من قبيل الإهتمام الودي بسبب

د. جمال شقرة  
الصدقة القديمة بينهما ، إلا أن مجرد ذكره لها في مذكراته يدل على مدى تأثيرها في علاقته بـ " إيدن " فيما بعد (١٤) .

وبالطبع تدهورت علاقات إيدن و دالاس بعد إختيار أيزنهاور لدالاس وزيراً للخارجية ، ولعل الإختيار في حد ذاته كان بمثابة لفت نظر لـ " إيدن " وتحذيره من أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الجديد ، لا يؤمن بتجاوز أصدقائه للحدود ، لدرجة " تعيين بريطانيا أي من أعضاء الوزارة الأمريكية . . أو أن تؤثر الصداقة على المصالح القومية لبلادها . . " (١٥) .

وعلى الطرف الآخر كان بعض رجال الإدارة الأمريكية يعبرون عن كراهيتهم للبريطانيين صراحة ، ولعل أبرز مثال على ذلك ما ذكره " جون و. هايتس " أحد العاملين بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA والذي أصبح فيما بعد أحد المساعدين الشباب لـ " جون فوستر دالاس " حيث لخص موقف وزارة الخارجية الأمريكية من البريطانيين بقوله : " لا يمكنك الإعتماد على البريطانيين في تنفيذ أي خطة مسئولة . . " لقد كان وزير الخارجية يتجاهلهم إذ كان يشعر بأنهم حمقى وتقلد . . وفي واقع الأمر لم يكن لهم دالاس أي إعجاب . . " (١٦) ، كما عبر " رودريك أوكونور " مساعد " دالاس " أيضاً وأحد رجال وكالة المخابرات الأمريكية عن التناقض بين " دالاس وإيدن " فلقد كانا " مختلفين تماماً ، وفي كل مرة كنت أرى فيها " إيدن " ، كنت أشعر دائماً إنه يسيطر عليه إحساس غامر بالخيلاء والغرور الشخصي ، وكان " دالاس " على النقيض من ذلك تماماً . . قد يكون لدى " دالاس " إحساس بالغرور الفكري أما الغرور الشخصي فهو شيء لم يعرفه على الإطلاق . . " (١٧) .

ولقد اتضح بجلاء أثر الشكوك المتبادلة وطبيعة العلاقات السيئة في أول إجتماع جمعها منذ تعيين " دالاس " وزيراً للخارجية حيث جاءت كلمة "

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

إيدن " حافلة بالإحياءات الوردية، على حين قدم " دالاس " كلمة بأسلوب المحامين ، ولقد ضايق هذا الأسلوب " إيدن " لدرجة أنه لم يبد الإهتمام المناسب لأسلوب " دالاس " ومنطقه المجهد (٩٨) ، كان الموضوع الرئيسي للإجتماع هو سحب بريطانيا من قاعدة قناة السويس العسكرية الضخمة ، ولقد أبدى " دالاس " إندهاشه من عدم إلمام " إيدن " بالتفاصيل بينما امتعض " إيدن " من أسلوب " دالاس " القسائوني اللفظ ، واعتبر أن تركيزه على التفاصيل أمر تافه وغير لائق (٩٩) .

وانفجر الخلاف مرة ثانية حول الموقف من الشيوعية في الهند الصينية، فقد كان إهتمام " دالاس " منصباً على الوضع الخطر للقوات الفرنسية هناك ، رغم أنه لم يكن بالطبع معني بدعم الإستعمار الفرنسي ، بل ربما العكس هو الصحيح ، إلا أنه كان يخشى من أن تؤدي هزيمة الفرنسيين إلى سقوط الأنظمة الموالية للغرب في المنطقة " كقطع الدومينو " الواحدة تلو الأخرى في يد الشيوعيين (١٠٠) .

ولقد أعد دالاس وآرثر و. رادفورد رئيس الأركان المشتركة خطة أطلق عليها " عملية النسر " لإنقاذ " ديان بيان فو " كان قوامها توجيه ضربات جوية من حاملات الطائرات الأمريكية الموجودة في خليج "تونكين " وبعد وضع الخطة ، غادر " دالاس وآرثر " الولايات المتحدة في طريقهما إلى لندن وباريس يوم ١٠ إبريل ١٩٥٤ لمناقشتها ، واشترط " دالاس " دخول بريطانيا والكونولث وعلى نحو خاص إستراليا ونيوزيلندا جنباً إلى جنب مع الولايات المتحدة الحرب ٠٠ وبعد إنتهاء الإجتماعات تصور " دالاس " أنه قد حصل على تأييد " إيدن " ولكن " إيدن " أنكر إنه وعده بشيء ، لذلك لما دعا " إيزنهاور " في نهاية إبريل ١٩٥٤ إلى إجتماع يضم سفراء دول الكومنولث البريطاني وفرنسا والعديد من دول شرق آسيا ، أعطى " إيدن " تعليماته للسفير البريطاني بعدم الحضور ، وبينما أخذ " إيدن " يردد أن " دالاس "

بهذه الدعوة يريد أن يزيحه عن الطريق ، كان "دالاس" يردد هو الآخر أن "إيدن" كذب عليه وسقطت "ديان بيان فو" وأعقب ذلك خروج الفرنسيين من الهند الصينية ، واعتبرت هذه الهزيمة إنتكاسة حقيقية للجيش الأوروبية في آسيا ، وسيظل "دالاس" يردد أن رفض "إيدن" الإنضمام لعمل موحد هو السبب في هذه الهزيمة (١٠١) .

وبعد سقوط "ديان بيان فو" بدأ الأمريكان يسخرون من "إيدن" ويقرنون اسمه بالكثير من النعوت اللاذعة ، فهو "المتملص" وهو الذي يفتقر إلى الإعتبارات الأخلاقية وفي مجلس الشيوخ وصف "وليام كنولاند" بريطانيا نفسها بأنها : "حليف لايعتمد عليه" (١٠٢) . لكن الأهم من ذلك أن "دالاس" أعلن في يونيو ١٩٥٤ خلال اللقاء الذي عقده مع بعض الصحفيين الأمريكيين أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة قد عانت كثيراً من نزوعها إلى السياسات الإستعمارية لبريطانيا وفرنسا ، وأكد أن هذه الإتجاه سيتم تغييره (١٠٣) .

وعندما انعقد مؤتمر قمة جينيف ١٩٥٥ كانت العلاقات بين "إيدن" و "دالاس" قد وصلت إلى حافة الهاوية ، ولقد زاد هذا المؤتمر من تمزقها . ولقد بدأت إجتماعات هذه القمة التي ضمت الدول الأربع الكبرى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٥ واستمرت لمدة خمسة أيام ، كانت توقعات "إيدن" إنه سيكون المهيمن على هذا المؤتمر وأن دوره سيفوق أدوار "خروشوف" و"أيزنهاو" و"إيجار فور" والحقيقة أن "إيدن" كان هو الوحيد الذي خبر مثل هذه الإجتماعات الدولية أما الثلاثة الآخرون فكان الإجتماع بالنسبة لهم هو أول إجتماع يحضرونه بهذا المستوى ، وفضلاً عن ذلك كان "إيدن" يرى أنه الوحيد الذي يمتلك الخلفية السياسية ، ويعرف أصول اللعبة الدبلوماسية ، ولذلك كان يتوقع أن يكون نجم هذا المؤتمر والمتحدث الرئيسي بلسان الغرب ، لكن الأمور سارت في عكس الإتجاه وعلى غير

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

هواه ، إذ سرعان ما برز " أيزنهاور " وخطف الأضواء من الجميع وانزوى " إيدن " ولم يعره الروس أدنى إهتمام بل تجاهلوه تماماً ولذلك ووفقاً لشهادة "رودريك أوكونور" خرج " إيدن " من هذا الإجتماع محبطاً بشدة ، ورد ذلك إلى وجود " أيزنهاور " (١٠٤) .

ولقد عبر " سلوين لويد " وزير خارجية بريطانيا عن كراهيته للأمريكان وإتهمهم بالنفاق فهم " يبدون في الظاهر حلفاء مخلصين وجديرين بالثقة ، ووراء هذا المظهر الخارجي يخفي العديد منهم كراهية كبيرة للنزعة الإستعمارية وإستياءً من أي سلطة تبقّت لنا من الأيام العظيمة لإمبراطوريتنا وإبتسامة سعادة يخفون نصفها فحسب، وهم يرون زوال مجدنا " (١٠٥) .

على أية حال ، عندما انعقدت القمة الأنجلو - أمريكية ٣٠ يناير - فبراير ١٩٥٦ ورغم المجاملات الدبلوماسية ، فقد فشلت فشلاً ذريعاً في علاج أي خلاف حول أي موضوع من الموضوعات التي طُرحت على بساط البحث في هذه القمة ولم تتجج القمة في رفع أي تناقض بين سياسة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

كان جدول أعمال القمة يشتمل على موضوعين رئيسيين هما :

- الإتحاد السوفيتي في ظل رئاسة " خروشوف " .
- والشرق الأوسط (١٠٦) .

كما وقع الخلاف حول مسألة الإعراف بالنظام الشيوعي في الصين ، لكن الخلاف الأكثر خطورة كان حول الشرق الأوسط ، فكان رأي " أيزنهاور " و " دالاس " إنه قد يلهب في أي لحظة " (١٠٧) . وكان إقتراح " إيدن " أن تمنح القوى الأوروبية الثلاث المزيد من القوة والدعم للإعلان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ ، وعلى حد تعبيره أن " يمنح الإعلان أسناناً " وذلك بتحويله إلى تحالف عسكري ، وكان " إيدن " يتصور أن هذا الدعم

سيكون فعالاً للحفاظ على النفوذ الغربي ، لكن إقتراح " إيدن " سقط ، ولم يمنح الإعلان الثلاثي أسناناً<sup>(١٠٨)</sup> الأمر الذي أدى إلى سخط رئيس الوزراء البريطاني .

وحول " واحة البوريمي " وقع الخلاف أيضاً ، حيث كان من البديهي أن يدافع "دالاس " عن المملكة العربية السعودية في نزاعها مع سلطنة عُمان التي كانت تقبع تحت الحماية البريطانية وكانت القوات السعودية قد احتلت الواحة عام ١٩٥٢ وادعت المملكة العربية السعودية ، ملكيتها لها ، وأيدتها الولايات المتحدة لأنها كانت أكبر منتج للنفط في الخليج ، كما أن " كونسرتيوم آرامكو " الأمريكي القوي كان هو المسيطر على ثرواتها ، وكانت الدراسات والتوقعات قد أشارت إلى أن الواحة تحتوي على مخزون هائل من البترول ، وبالتالي كانت " آرامكو " تقف خلف المزاعم السعودية وتسعى لإنجاحها ، وإلا فإن شركات البترول البريطانية التي وقعت العقود مع السلطان ستحصل على حقوق التنقيب ، وقد فشلت كل محاولات التحكيم ، ورفض " دالاس " التضحية بمصالح بلاده من أجل حليفته المتداعية بريطانيا بل أنه كان صريحاً وواضحاً فيما قاله لـ " إيدن " " فالولايات المتحدة لها مصالح مهمة في المملكة العربية السعودية ، هناك منابع البترول الواسعة ، ذات الأهمية البالغة ولنا أيضاً قاعدة جوية سينتهي عقدها هذا العام ، والولايات المتحدة لا تريد أن توضع في موقف ممكن أن تخسر فيه كل تلك المصالح . . . " <sup>(١٠٩)</sup> .

ولم ينجح المؤتمر كذلك في علاج الخلاف والتناقض الذي وقع بين الولايات المتحدة وبريطانيا حول حلف بغداد، وكان " دالاس " هو الذي إقتراح إنشاء الحلف ، باعتباره أحد حلقات التحالفات التي كانت تستهدف تطويق الإتحاد السوفيتي ، وكان الحلف يمتد من باكستان إلى إيران والعراق وتركيا ، ولقد تحمس " إيدن " لهذا الحلف وفي إبريل ١٩٥٥

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

أعلن توقيع بريطانيا عليه، إلا أنه سرعان ما صدمها رفض الولايات المتحدة الانضمام إليه (١١٠).

وعلى الرغم من أن رفض الولايات المتحدة كان لأسباب وإعتبارات منطقية لعل أهمها معارضة مصر وإسرائيل للحلف (١١١) إلا أن الموقف الأمريكي استفز بريطانيا ، وتسبب في توتر " إيدن " بشكل لافت للنظر ، خاصة وأنه كان يدرك أنه في حاجة ملحة إلى الإستحكامات الحيوية للحلف ضد الإتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط ، والحقيقة أن " إيدن " قدم لها دون أن يدري حلاً مثالياً ، بإندفاعه للقيام بالدور الرئيسي في تشجيع حلف بغداد ، فلم يعد هناك ما يدفعها إلى الدخول فيه والإضرار بعلاقتها مع مصر وإسرائيل (١١٢).

هكذا فشل المؤتمر ، ولم تحل زيارة " إيدن " لواشنطن خلافاً واحداً ، ولعل أهم أسباب فشل المؤتمر أن " إيدن " لم يدرك أن بلاده هي التي كانت تحتاج الولايات المتحدة أكثر من حاجة الولايات المتحدة لها ، إذ كان الإقتصاد البريطاني يمر بأزمة عنيفة ، ولقد عرض " إيدن " مشكلة بلاده ، حيث أشار إلى أن إحتياطي بريطانيا من الذهب والدولارات لا يكفي تغطية مواردها إلا لثلاثة أشهر فقط، وأن بلاده تحولت بسبب الحرب العالمية الثانية من أكبر دائني العالم إلى أكبر مديني العالم . . . (١١٣).

ويبدو أن " إيدن " تصور إنه بعرضه لظروف بلاده سيؤثر على " أيزنهاور ودالاس " لكن العكس كان الصحيح تماماً ، إذ قوبل ذلك ببرود من الإثنين ، ولم يدفعهما إلى الموافقة على أو تقديم أي شيء لا يخدم المصالح الذاتية للولايات المتحدة الأمريكية (١١٤).

لقد كان على رئيس الوزراء البريطاني أن يفهم أن الإمبراطورية تتحسر ، وأنه لم يكن منطقياً أن تعمل الولايات المتحدة من أجل خدمة دولة أخرى، حتى لو كانت هذه الدولة هي حليفها (١١٥). كما كان عليه أن يفهم أن

د. جمال شقرة

الخلافاً بين واشنطن وبريطانيا هو خلاف إستراتيجي في المقام الأول ، محكوم بالتنافس الطبيعي بينهما على النفوذ والسيطرة في عالم مابعد الحرب العالمية الثانية<sup>(١١٦)</sup>.

وعلى الطرف الآخر ، لم يكن " أيزنهاور " أسيراً لأوهام أو أساطير تحركه أو تؤثر في إختياراته ، بل كان مدركاً لقوة بلاده وللتناقضات والمتناقضات العديدة القائمة على أرض الواقع ، وكان عليه أن يتفاعل مع هذه التناقضات ويسبر غورها وفي حالة المفاضلة بين الأهداف القومية لبلاده، كان عليه أن يُضحى بحلفائه .

ولعل موقف " دالاس " أثناء إجتماع وزراء حلف السيتو SEATO الذي بدأ في كراتشي يوم ٦ مارس ١٩٥٦ ، أفضل دليل على ذلك ، حيث أكد لـ " لويد " أن الولايات المتحدة ستقوم بدور أكثر فعالية في الشرق الأوسط ، ولما أُلح " لويد " على ضرورة إنضمام الولايات المتحدة إلى حلف بغداد ، أكد له " دالاس " أن هذا الأمر لايتفق مع مصالح بلاده وأنه أمر مستحيل تماماً<sup>(١١٧)</sup>.

ورغم إنتقادات وزير خارجية فرنسا " كريستيان بينو " لسياسة الولايات المتحدة إلا أن إجتماع السيتو إنتهى بإنتصار رؤية " دالاس " <sup>(١١٨)</sup> .

ولم تلتفت الولايات المتحدة للهجة المعادية لها التي بدأت تظهر في البرلمان البريطاني ، والتي وصلت ذروتها في أبريل ومايو ١٩٥٦ <sup>(١١٩)</sup> .

على أية حال أضيف إلى نقاط الخلاف بين بريطانيا والولايات المتحدة رفض إدارة " أيزنهاور " في أبريل ١٩٥٦ ، القيام بعمل عنيف ضد جمال عبد الناصر <sup>(١٢٠)</sup> .

هكذا بقي التنافس داخل المعسكر الغربي ، وظلت الخلافات والتناقضات بين الإمبراطورية البريطانية – والفرنسية من ناحية ، والولايات المتحدة الأمريكية ، من ناحية أخرى ، معلقة دون حل ، حتى انفجرت على أثر تصاعد الصراع بين مصر والغرب ، وهو الصراع الذي بلغ ذروته

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

في صيف ١٩٥٦ عندما اعتدت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر بهدف إسقاط النظام الجديد ، والقضاء على جمال عبد الناصر .

ويكاد ينعقد الإجماع على أن أزمة السويس كانت بمثابة المسمار الأخير في نعش الإمبراطورية البريطانية ، وعلى أن التواطؤ والعدوان الثلاثي فجر التناقضات وأيقظ الخلافات المعلقة داخل المعسكر الغربي ، وأعطى فرصة ذهبية للإمبراطورية الصاعدة لتدشن صعودها إلى القمة ، ولتقرض السلام الأمريكي PAX AMERICANA ولتجعل من شعار القرن الأمريكي ، حقيقة مؤكدة بعد تراجع الإمبراطوريتين الإستعمارييتين ، البريطانية والفرنسية .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، هل صنعت الولايات المتحدة الأمريكية الأزمة أو خططت لإستغلالها على الأقل ودفعت بحليفها إلى حافة الهاوية ؟ وضغطت عليها لتعترف بحقائق الأمور ، وتترك لها زعامة وقيادة المعسكر الغربي ؟ .

كان التناقض بين سياسات " عبد الناصر " قد أصبح واضحاً بعد عقد إتفاقية الجلاء فبينما كان " عبد الناصر " يسعى إلى دعم إستقلال بلاده ، ومساعدة حركات التحرر في الوطن العربي ، كان الغرب يسعى إلى تكبيل هذه الدول بقيود الإتفاقيات والمعاهدات ، حتى يضمن سيطرته على مواردها وأسواقها فضلاً عن إرادتها ، وفي الوقت الذي كان فيه " عبد الناصر " يفكر في تكوين حزام من الدول العربية المحررة حول إسرائيل ، كان الغرب يحاول عزله داخل حدوده ليواجه إسرائيل منفرداً في حالة وقوع الحرب بينهما . لذلك شارك " عبد الناصر " في مؤتمر بانديونج ١٨—٢٤ أبريل ١٩٥٥ وعقد صفقة الأسلحة الشيكية يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ ، واستمرت مهاجمته لحلف بغداد ، ثم اعترفت مصر بالصين الشعبية يوم ١٩ مايو ١٩٥٦ ، وإن كانت قرارات " عبد الناصر " السابقة التي جاءت كرد

فعل لسياسات الغرب المعادية لمصر ، قد أزجعت الدوائر الغربية بشدة ، إلا أن قرار تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ كان أكبر لطمة وجهت إلى الغرب ، وأزعجت بشدة بريطانيا وفرنسا .

ومع أن القرار جاء كرد فعل على إعلان الولايات المتحدة سحب مساهمتها في تمويل مشروع السد العالي بطريقة مهينة يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ إلا أنه كان من القرارات التي دُرست وتم تأجيلها إنتظاراً للحظة مناسبة<sup>(١٢١)</sup> ، واللافت للنظر ، أن بريطانيا ، كانت حريصة على دعم فكرة المشاركة في بناء السد العالي ، خاصة بعد أن شعر " إيدن " بالصدمة من جراء إختراق السوفيت للشرق الأوسط ، وكانت قناعته أن المشاركة في بناء السد العالي قد تكون أحد الوسائل المهمة التي تستعيد بها بريطانيا نفوذها ، الذي كان يتناقص تدريجياً ، وكما قال لأحد مساعديه : "ينبغي علينا ألا نسمح للسوفيت بالوصول إلى وادي النيل مهما كان الثمن ."<sup>(١٢٢)</sup> ، لذلك فقد أعرب عن ضيقة من تصميم الولايات المتحدة على الإعلان عن رفض تمويل المشروع ، وبالطريقة المهينة التي تم بها ثم أخذ يصب جام غضبه على "جمال عبد الناصر"<sup>(١٢٣)</sup> .

ويبدو من ظاهر الحوادث أنه قنتع بأنه إذا كانت فرصة البقاء في مصر والشرق الأوسط بواسطة المشاركة في تمويل هذا المشروع الكبير الذي سيستمر بناؤه سنوات قد ضاعت من بريطانيا، فلعل عقاب " عبد الناصر" قد يوصل إلى نفس النتيجة ويمنحها فرصة أخيرة ، لذلك أعلن إيدن بعد التأميم مباشرة أن "عبد الناصر" قد قبض على قصبتنا الهوائية وإنه لن يفلت من العقاب"<sup>(١٢٤)</sup> .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية ترقب ردود الفعل ، لذلك لفت نظر الإدارة الأمريكية ما سجله القائم بعمل السفير الأمريكي في لندن " فوستر " عن إجتماع مجلس الوزراء والذي عقده " إيدن " منتصف ليل ٢٦ يوليو

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

١٩٥٦، أي نفس اليوم الذي أعلن فيه " عبد الناصر " قرار التأميم (١٢٥) وأدرك " أيزنهاور " أن مجلس الوزراء البريطاني يتساءل حول " المدى الذي يمكن أن تذهب إليه الولايات المتحدة في تأييد والإشتراك في موقف حازم ضد " عبد الناصر " سواء كان ذلك في شكل عقوبات إقتصادية أو عسكرية . . . " (١٢٦) وأن " إيدن " حائق فعلاً ، وإنه وجد أخيراً المبرر لشن حملة شاملة ضد " مصر " ولتدمير صورة عبد الناصر " إلى الأبد كزعيم للقومية العربية (١٢٧) .

وفي اليوم التالي أرسل " إيدن " برقية إلى " أيزنهاور " يهمنها ما جاء فيها إلحاحه على " التحرك الفوري " : " إذا قمنا بعمل حازم الآن ، فسنحظى بدعم كل الحلفاء . . . وتحذيره من ضياع الفرصة . . . " وإذا لم نفعل ذلك الآن ، فإننا مقتنعون بأنه سيتم تدمير نفوذنا ونفوذكم تماماً في سائر أنحاء الشرق الأوسط . . . إنني وزملائي مقتنعون بأنه يتعين علينا الإستعداد لإستخدام القوة . . . لإعادة ناصر إلى رشده ، ونحن مستعدون من جانبنا للقيام بذلك . . . وقد أصدرت أوامري هذا الصباح لرؤساء الأركان لإعداد خطة عسكرية تتفق مع هذا التصور (١٢٨) .

هكذا طالب " إيدن " بالتحرك الفوري ، وحذر من تدمير نفوذ الإمبراطورية البريطانية وكذلك نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط . فهل حقاً كان التحرك الفوري ضروري ؟ وهل حقاً كان نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط في خطر ؟ الإجابة على السؤال الأول ، بنعم ، فالضربة العسكرية الفورية نتائجها أخطر على مصر ، وربما أعادت لبريطانيا نفوذها في المنطقة . . . أما كون نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في خطر ، فهو تقدير خاطيء من " إيدن " ربما قصد به دفع " أيزنهاور " للإسراع بالتحرك ومساندته قبل أن تضيق فرصته هو ، خاصة وأنه كان يرى أن التأميم رد فعل على إجراء قامت به حكومة الولايات

د. جمال شقرة  
المتحدة - يقصد إلغاء تمويل السد العالي - فهي المسئولة عنه وعن  
تبعاته (١٢٩).

وبلغت الإنتباه هنا ، أنه بينما كانت لندن " تغلي " وإيدن استشاط غضباً ،  
كانت واشنطن " باردة " و " أيزنهاور " يفكر بهدوء وببطء ، ولا يهمله أن  
تضيق الفرصة التي أراد " إيدن " أن يغتتمها ، بل إنه سعى بعمد إلى  
تقويتها كما سنرى .

تمثل أول رد فعل لـ " أيزنهاور " بعد التأميم ، وقبل أن يتلقى برقية " إيدن " في عقد إجتماع لمناقشة المسألة ، وتبلورت أفكاره فيما أعلنه  
ويمكن إختصاره على النحو التالي : -

- أن خطاب التأميم مليء بالإفتراءات على الولايات المتحدة .
  - أن الولايات المتحدة قلقة بسبب قرار " عبد الناصر " .
  - أنها مهتمة بقناة السويس لأنها ممر عالمي للتجارة بين الشرق والغرب .
  - أنها ستجري مشاورات مع الدول التي يعينها أمر القناة .
- وهكذا رفض " أيزنهاور " من البداية المشاركة في عمل عسكري ضد " عبد الناصر " حتى بعد أن وصلته برقية " إيدن " الغاضبة (١٣٠) .
- على أية حال إندفعت بريطانيا لتتسق مع فرنسا ، من أجل خوض الحرب  
ضد " عبد الناصر " واعتزم " كرستيان بينو " الذهاب إلى لندن في عطلة  
نهاية الأسبوع لمناقشة ذلك ، وطلب " إيدن " من " أيزنهاور " أن يبعث  
بممثل أمريكي ليحضر الإجتماع حتى يتسنى للدول الغربية الثلاث الكبيرة أن  
تتسق تحركاتها .

ومع أن " أيزنهاور " إستجاب ، وأتاب " روبرت مورفي " للقيام بهذه  
المهمة ، إلا أن التعليمات التي أعطاه لـ "مورفي" يجب أن تستوقفنا  
بعض الوقت :

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

أولاً: كان الهدف الأول من تكليف " مورفي " هو أن يستطلع

الأمر ويعرف ما يجري في لندن .

ثانياً: كان على " مورفي " أن يبلغ " إيدن و بينو " أن يتعامل مع

الموضوع بشكل أهدأ .

ثالثاً: كما كان عليه إحباط أي عمل عسكري طائش .

رابعاً: حتى في حالة إذا ما أصرا على القيام بعمل عسكري ضد "

عبد الناصر " فينبغي ألا يبدو وكأنه عمل من أعمال نادي

الثلاثة الكبار .

وأخيراً على " مورفي " أن ينبههما " الي عدم الربط بين ما قام به " عبد

الناصر " والصراع العربي الإسرائيلي (١٣١) .

ومن المفارقات ذات الدلالة هنا إنه بينما كان " إيدن " لا ينام ستقل "

أيزنهاور " بعد إجتماعه بـ " مورفي " الطائرة في طريقه إلى مزرعة "

جيتسبرج " ليسترخ لمدة ثلاثة أيام (١٣٢) .

ولعل هذا يدفعنا إلى التساؤل ، لماذا اتسم الموقف الأمريكي

بالهدوء ؟

لقد كفانا " أيزنهاور " نفسه مشقة البحث عن الإجابة فأشار إلى عدة أسباب

تفسر هدوء الموقف الأمريكي منها :

أولاً: قلة المصالح الأمريكية في قناة السويس ، إذ أن ٢,٧ %

فقط من إجمالي السفن التي كانت تستخدم القناة وقتئذ كانت

مسجلة في الولايات المتحدة .

ثانياً: أنه لم يكن للحكومة الأمريكية حصة في شركة القناة .

ثالثاً: استقلال الولايات المتحدة فيما يتعلق بحاجتها البترولية

رابعاً: تمركز الإستثمارات الرئيسية لها في دول الخليج .

وبالطبع على النقيض من ذلك كان الوضع بالنسبة لبريطانيا وفرنسا (١٣٣) .

على أية حال ، نقل " مورفي " إنطباعه لـ " أيزنهاور " بعد مقابلته لـ " إيدن " و"سلوين لويد " و " كريستيان بينو " مؤكداً له تصميم بريطانيا وفرنسا على القيام بعمل عسكري يزيل " جمال عبد الناصر " من الوجود ، لذلك طلب " أيزنهاور " من " دالاس " بعد عودته من بيرو ، أن يتوجه إلى لندن ، لكن " دالاس " وصل واشنطن أولاً ، وصرح للصحفيين بأن :

- تأميم قناة السويس قد وجه ضربة خطيرة للنقمة الدولية .
  - وإنه سيؤثر ليس فقط على حاملي الأسهم — وهم ليسوا أمريكيين — بل على تشغيل القناة نفسها ، وهو ما يسبب قلقاً بالغاً للولايات المتحدة بوصفها إحدى الدول البحرية .
- كما صرح لنائب الرئيس " ريتشارد نيكسون " بأنه سيبذل قصارى جهده لإقناع البريطانيين والفرنسيين بعدم شن الحرب ، أما إذا فعلوا فيجب عليهم أن يدركوا إنه سيتعين عليهم خوضها وحدهم (١٣٤) .

ولكن اللافت للنظر هنا ، إنه رغم رفض الولايات المتحدة للمشاركة في عمل عسكري ضد " عبد الناصر " إلا أن الإدارة والصحافة الأمريكية لم تخف بغضها له ولم تكن تتورع عن وصفه بأقذع الصفات فهو ديكتاتور منقلب ، وهو هتلر الشرق إلخ .

على أية حال ، حسم " إيدن " أمره على ضرورة استخدام القوة العسكرية، ضد "عبد الناصر" ، وبعث هو و"ماكميلان" يوم الإثنين ٣٠ يوليو ١٩٥٦ ، برسالتين سريتين للغاية ، إلى " أيزنهاور " أكدا فيهما على أن الحكومة البريطانية، قد إتخذت قراراً حازماً ، لا رجعة فيه بتحطيم " عبد الناصر " . . . وأنها ستبدأ العمليات الحربية بأسرع ما يمكن ، وعلى الأرجح في ظرف ستة أسابيع ، دون إعطاء الفرصة لأي وساطة أو إجراءات أقل عنفاً . . . (١٣٥) .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

وعلى أثر ذلك ، عقد "أيزنهاور" إجتماعاً صباح الثلاثاء ٣١ يوليو ١٩٥٦ تمت فيه دراسة ما جاء في رسالة "إيدن" ، وتقرر سفر "دالاس" إلى لندن ، حاملاً رسالة شخصية من "أيزنهاور" لـ "إيدن" اتسمت بشيء من الخشونة ولعل أهم ما ورد فيها :

• ضرورة عقد إجتماع للدول الموقعة على إتفاقية القسطنطينية

١٨٨٨ قبل للقيام بعمل عسكري .

• إن الرأي العام الأمريكي والرأي العام العالمي سيشعر بالسخط إذا لم نحاول بالطرق السلمية .

• قد تكون النجاحات العسكرية الأولى سهلة ، لكن الثمن قد يكون فادحاً .

والأهم تأكيد "أيزنهاور" على إنه إذا ما قامت بريطانيا بعمل عسكري ضد مصر ، فيستحسن ألا تعتمد بشكل أوتوماتيكي على إنضمام القوات الأمريكية وبرر ذلك ، بأنه يتعين على الكونجرس الأمريكي إقرار مثل هذا العمل ، وهو الآن في أجازة<sup>(١٣١)</sup> . وإن كان من الممكن دعوته لجلسة طارئة ، لكنه على الأرجح سيرفض إستخدام القوة ، إلا إذا كان هناك دليل على إستفاد كل السبل السلمية لحل الأزمة ، أما إذا لم يُقدم الدليل على ذلك ، قد يكون هناك رد فعل يؤثر بشكل خطير على مشاعر شعبنا تجاه حلفائنا الغربيين<sup>(١٣٧)</sup> . ثم طلب في نهاية الرسالة من "إيدن" مراجعة قرار إستخدام القوة<sup>(١٣٨)</sup> .

على أية حال ، لم يصدر عن الولايات المتحدة أي عمل عنيف ضد مصر خلال الأيام الأولى التي أعقبت قرار التأميم ، إلا أنها سرعان ما إنضمت إلى لندن وباريس وجمدت الودائع المصرية ، وكان هذا الإجراء أقصى ما يمكن أن يقبله "أيزنهاور"<sup>(١٣٩)</sup> .

وعلى الرغم من أن تأخير الحرب التي شرعت فيها بريطانيا وفرنسا كان يعود أساساً إلى عدم إستعداد القوات العسكرية البريطانية والفرنسية ، إلا أن " إيدن " إعتبر موقف الولايات المتحدة بمثابة العقبة الكؤود التي حالت دون الإنتقام من " عبد الناصر " (١٤٠) .

المثير للدهشة كما لاحظ " دونالد نيف " أن " دالاس " رجل حافة الحرب، إنقلب أثناء مباحثاته مع " إيدن ولويد وبينو " إلى داعية يبشر بالسلام ، وإنقلب " إيدن " رجل الحل الوسط والمفاوضات ، إلى داعية للحرب والقتال (١٤١) ، ولعل هذا التحول يعكس عمق التناقضات التي كانت بين الشخصين والبلدين في آن واحد .

وأثناء وجود " دالاس " في لندن خيم جو عدائي ضد الولايات المتحدة عكسته عناوين الصحف ، وحذر " ماكميلان " من أن بريطانيا ستنتهي كقوة عظمى إذا أنتصر ناصر . ومع ذلك أكد " دالاس " على أهمية تعبئة الرأي العام قبل القيام بأي عمل عسكري ، ونصح بالتأني ، لكن الأهم إنه إقتراح ، إشتراك بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في توجيه الدعوة لعقد مؤتمر دولي للدول البحرية ، لمناقشة المشكلة وإيجاد حل لها (١٤٢) . وتجدر الإشارة هنا ، إلى أنه رغم تحذيره من مغبة شن الحرب ، إلا أنه أبدى شيئاً من التعاطف مع الموقف البريطاني والفرنسي ، لدرجة أنه قال: " يجب إيجاد طريقة لجعل ناصر يتقيء مايحاول إبتلاعه " (١٤٣) .

ولقد نسي " إيدن " كل تحذيرات " أيزنهاور " وتعلق نتيجة لسعيه المحموم نحو الحرب ، وكراهيته الشديدة لـ " عبد الناصر " بالعبرة العنيفة السابقة وإعتبرها إقراراً من " دالاس " لخطط الحرب الأنجلو - فرنسية ، وذكر إيدن بعد ذلك ، إن عبارة إيدن كانت في غاية الصراحة وظلت تتردد في أنني لشهور عديدة " (١٤٤) لكن " مورفي " الذي عرف " دالاس " جيداً ،

أكد أن " إيدن " بالغ كثيراً في تقدير أهميتها ، وأن " دالاس " لم يكن يقصد الموافقة على العمل العسكري (١١٥) .

على أية حال ، بينما إستمر " إيدن " و " موليه " في الإستعداد للحرب ، إستمر " أيزنهاور " و " دالاس " في تطبيق إستراتيجية كان هدفها تحويل نظر بريطانيا وفرنسا عن الحرب (١١٦) ولقد مثل مؤتمر لندن أبرز الجهود التي بذلتها الولايات المتحدة لكبح الإنفخاح نحو الحرب ولو مؤقتاً (١١٧) إلا أن فشل المؤتمر بعد أن تجاهلته مصر وضع الغرب كله في مأزق تخلص منه " دالاس " وقدم إقتراحاً جديداً بتشكيل لجنة تمثل المؤتمر ، لكي تلتقي بـ " عبد الناصر " وتعرض عليه وجهة نظر الأغلبية وتم إختيار " روبرت منزيس " رئيس وزراء أستراليا رئيساً لها (١١٨) ولم يكن هذا الإقتراح إلا مناورة أخرى من " دالاس " لإستهلاك الوقت (١١٩) .

لقد إستبد شبح " ناصر " وهو يحطم الإمبراطورية بـ " إيدن " لكن موقف أيزنهاور و دالاس باعد بينه وبين الإنتقام الفوري وأضاعا عليه فرصة حقيقية — لو شاركاه — للإنتقام من " عبد الناصر " ، وإستعادة ولو جزء من هيبة الإمبراطورية . كما أقنعا بأهمية إيجاد مبرر مقبول دولياً لإعلان الحرب على مصر .

وفي الوقت الذي كان يبحث فيه " إيدن " و " موليه " بحثاً محموماً عن المبرر المقبول ، استخدم " دالاس " كل طاقاته ومناوراته القانونية ليبدد محاولتهما ، فعندما فشلت بعثة " منزيس " إقترح " دالاس " فكرة إنشاء منظمة أو جمعية للمنتفعين من القناة ، تتكون بشكل مبدئي من الدول الثمان عشرة الأعضاء في الكتلة الغربي في مؤتمر لندن (١٢٠) .

ولقد أكد " دالاس " على الأهداف السلمية لمشروعه ، وصرح بأنه حتى لو رفض " عبد الناصر " التعاون معها ، فإننا لا ننوي أن نشق طريقنا بالقوة إلى القناة وسنرسل سفننا عبر طريق رأس الرجاء الصالح (١٢١) .

لقد وجه دالاس ضربة قاصمة لإيدن بتصريحاته التي أدت إلى مزيد من تدهور العلاقات بينهما ، وإن شئنا الدقة بين الدولتين الحليفتين ، بريطانيا والولايات المتحدة ، لدرجة أن " إيدن " فسر تصريحات " دالاس " حول هيئة المنتفعين ، بأنها " دعوة لناصر لكي يرفض المشروع دون خوف من العواقب ، ومن شأن هذا المنطق النفعي تجاه الحلفاء أن يدمر أي مشاركة حقيقية (١٥٢) .

يرى " دونالد نيف " أن رد فعل " إيدن " العنيف على ملاحظات " دالاس " لا يفسره المأزق العنيف الذي تعرض له أمام البرلمان ، بل يعود إلى أن دالاس

بمناوراته هذه ، خدعه مرة ثانية ، ودمر خطة أخرى من خطته لشن الحرب وتركه يبحث مرة ثانية عن الزريعة (١٥٣) .

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد مرور ستة أسابيع تحول موقف الرأي العام ضد فكرة الحرب ، وساعد على ذلك :

- عدم وقوع أي حادث خطير .
- تحرك " عبد الناصر " بحرص شديد .
- استمرار القناة مفتوحة أمام الملاحة وإستمرار الحركة التجارية دون أي عوائق .
- عدم حدوث أي نقص في إمدادات البترول (١٥٤) .

هكذا تلقت الإمبراطورية البريطانية - والفرنسية لكمة عنيفة من " عبد الناصر " ولم تتمكن رغم مرور ستة أسابيع على ردها بسبب موقف حليفتها الكبرى الولايات المتحدة. وإذا كانت هذه اللكمة قد أفقدتها صوابها فإن موقف حليفتها دفعها للبحث عن زريعة لن تجدي وحتى لو وجدتتها فبعد مرور ستة أسابيع كان اللجوء إلى الحرب سيبدو حتماً عملاً مثيراً للسخرية، على حد تعبير " أيزنهاور " (١٥٥) .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

والمثير للدهشة أن " دالاس " صاحب إقتراح هيئة المنتفعين هو نفسه الذي تسبب في فشلها وذلك عندما تخلى عنها وأدها حيث أعلن أمام الجلسة الإفتتاحية :

- أن عضوية الرابطة لن تضمن فرض أي إلتزامات على أعضائها .
- أن تسديد الأعضاء رسوم المرور للرابطة عمل إختياري بحت .
- أنه في حالة إصرار مصر على إستخدام مرشديها فلن يكون أمام مرشدي الرابطة مايفعلونه .

وكان تصريح " دالاس " هذا معناه ، أن الرابطة أو الهيئة لن تتمتع بأي سلطة ذلت شأن <sup>(١٥٦)</sup> بل عندما سأله أحد الصحفيين في نفس اليوم الذي أعلن فيه عن تأسيس الهيئة (٢ أكتوبر ١٩٥٦) عما إذا كانت الرابطة الجديدة سيكون لها "أسنان أم لا" كانت الإجابة صدمة لـ " إيدن " حين أجاب "هناك من يبحث عن تسنينها . . لكن لن يكون لها أبداً أسنان، إذا كانت الأسنان تعني إستخدام القوة"<sup>(١٥٧)</sup> .

ولقد تسببت تصريحات " دالاس " في توسيع هوة الخلاف بينه وبين " إيدن " لكن الأهم أن هيئة المنتفعين فشلت نتيجة عدم مساندة الولايات المتحدة لها . السؤال لماذا ؟ خاصة أن " إيدن " وصل بعد فشلها إلى نقطة للعودة!! هل كان " دالاس " يقصد ذلك ؟! ثم أليست الملاحظة الخاصة بالمكسب والخسارة جديرة بالإهتمام ؟ فخلال الستة أسابيع التي تلت قرار التأميم ، لوحظ أنه كلما كسب " أيزنهاور " و " دالاس " خطوة وتقدمت الولايات المتحدة في إدارة الأزمة خطوة ، كلما خسر " إيدن " خطوة وتراجعت الإمبراطورية البريطانية . وفي هذا الصدد ليس بعيداً عن الصحة القول بأن الولايات المتحدة أضاعت الفرصة على " إيدن " ليوجه ضربته بالتعاون معها في الأسبوع الأول أو الثاني بعد التأميم، ثم تسببت التصريحات والقرارات في تهينة الرأي العام الغربي ، لدرجة أنه لم يُعد هناك من يؤيد

الحرب إذا ما أعلنتها إيدن لكن اللافت للنظر أن "دالاس" كان يدفع "إيدن" في نهاية الستة أسابيع إلى الحافة مرة ثانية فـ "عبد الناصر" يجب أن يتقياً القناة "وهيئة المنتفعين لا قيمة حقيقية لها .

على أية حال ، إستمرت مناورات "أيزنهاور" و "دالاس" فلما تقرر عرض النزاع الخاص بقناة السويس على هيئة الأمم المتحدة ، عارض دالاس وكان رأيه أن الغرب لا يملك مبررات ذات قيمة ، وكان المنسوب الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة "كابوت لودج" يعتقد أنها حيلة من بريطانيا وفرنسا لإسترضاء الرأي العام العالمي وأنهم عازمون على الحرب<sup>(١٠٨)</sup> . وفي هذا بلغت كراهية "إيدن" لـ "أيزنهاور ودالاس" أقصى مدى، أثناء عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ، ومن ثم أوقف المسئولون البريطانيون والفرنسيون كل أشكال التشاور مع واشنطن<sup>(١٠٩)</sup> .

وجدير بالذكر أن "دالاس" لم يُعر كراهية "إيدن" أي إهتمام ، ومضى في طريقه يفعل كل ما يؤمن به من أجل مصلحة بلاده ، ووصل الأمر إلى أنه طلب من "لودج" تأييد أي قرار يدين إستخدام القوة ، حتى ولو أدى هذا إلى تصدع التحالف الغربي<sup>(١١٠)</sup> وبالفعل كان "دالاس" حازماً في مجلس الأمن ، ضد إستخدام القوة ونجح في إفشال خطط بريطانيا وفرنسا<sup>(١١١)</sup> .

ولعل هذا يفسر الهجوم العنيف الذي صبه إيدن والصحافة البريطانية على دالاس، ففي إفتتاحية صحيفة "الديلي تلجراف" يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٦ جاء "إننا لا نطلب من الأمريكيين أن يقولوا أو يفعلوا شيئاً قد يكون مستحيلاً بالنسبة لهم في عام إنتخابات الرئاسة . . بل إننا لا نطلب منهم أن يتخذوا موقفاً نحذو حذوهم فيه ، إذ أننا قادرون على الدعوة لموقفنا الخاص . . إنما نطلب منهم الكف عن التآرجح في قضايا نعتقد أنها تتعلق بوجودنا ذاته ، وتتعلق بوجودهم أيضاً إن هم أمعنوا النظر"<sup>(١١٢)</sup> . وفي نفس العدد نشرت الصحيفة مقال جاء فيه "هناك شعور سائد في بريطانيا بأن الولايات المتحدة

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

خانتنا فيما يتعلق بقناة السويس ٠٠ " (١١٣) . بل وصل الأمر إلى تصوير " الديلي إكسبريس " لـ " دالاس " على أنه " مجنون أو محامي مختل العقل ٠٠ يعرف جيداً كيف يخون بريطانيا ؟ " (١١٤) لكن الأهم ماجاء في " النيويورك تايمز " من أن " الإحباط المرتبط بقناة السويس يجسد ، كما لم يجسد شيء من قبل ، الإنحدار السريع لنفوذ الإمبراطورية البريطانية (١١٥) . على أية حال ، تم التواطؤ الثلاثي في سيفر ، وشنت الحرب على مصر يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وحملت الأيام التي تلت الهجوم الكثير من المفاجآت ، إلا أن أكثر هذه المفاجآت صدمة للإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، كان الإنذار عنيف اللهجة الذي صدر عن الولايات المتحدة ضد حلفائها . وقبل الإنذار كان " أيزنهاور " يردد " إنهم حلفاؤنا وأصدقاؤنا ، ولكنهم وضعونا في حفرة ، ويريدون أن ننفذهم .. فهل أنقذهم " أيزنهاور " ؟ . الإجابة تأتي من إجابة على سؤال آخر ، من الذي إستفاد من أزمة السويس ؟

صحيح أن " عبد الناصر " حقق إنتصاراً سياسياً ، وتحول إلى بطل أسطوري وزعيم ترفعه الجماهير على أعناقها ليس في مصر وحدها وإنما في كل بلد عربي ٠٠ لكن المنتصر الحقيقي كان " أيزنهاور " الذي أدخل الولايات المتحدة عصرها الجديد بعد أن قُص نيل الأسد البريطاني على أرض مصر .

لقد فجرت أزمة السويس التناقضات الأنجلو - أمريكية ، وانتصرت الدبلوماسية الأمريكية ، ولعل النظرة المتفحصة لتصريحات " أيزنهاور " بعد العدوان الثلاثي مباشرة ، تؤكد أن " أيزنهاور " كان يخطط لإقتناص الفرصة ليعلن سقوط الإمبراطوريتين الإستعمارييتين . ولقد بلغت صراحته إبان العدوان إلى حد القول " إنني أؤمن إيماناً راسخاً بأن مصير هاتين القوتين إلى زوال وأقول ، طالما تنتهجان هذه السياسات ، وكيف يمكن لنا أن

د. جمال شقرة  
ندعم بريطانيا وفرنسا ، إذا كنا سنخسر العالم العربي بأسره بدعمنا  
إياهم؟! (١١٦) .

وبدلاً من خسارته للعالم العربي ، أرسل له السفير الأمريكي في  
القاهرة "ريموند هير" برقية أكد فيها أن فرصة فريدة سنحت الآن للولايات  
المتحدة ، وأن الولايات المتحدة ، قد بدت فجأة كمدافع أصيل عن الحق ،  
وأن هناك مزاجاً موالياً لأمريكا في المنطقة ، وهو ما يقدم فرصة إضافية  
لإعادة تدعيم مركز واشنطن على نحو كان يبدو مستحيلًا منذ أسبوع .. .  
(١١٧). ولقد ابتهج أيزنهاور "أيا إبتهاج برسالة" ريموند هير "هذه لأنها  
لمست وترأ حساساً عنده (١١٨) .

ولم يضيع أيزنهاور في الحقيقة وقته ، وبدأ يضع الإستراتيجية  
الأمريكية الجديدة ، وهي الإستراتيجية التي أزاحت الدول الإستعمارية من  
الشرق الأوسط، لتحل الولايات المتحدة محلها . ولقد استخدم بمهارة حطام  
السويس كنقطة إنطلاق نحو البداية الجديدة فقدم الإغراءات لدول الشرق  
الأوسط ، وفي نفس الوقت نفذ سلسلة من الإجراءات العنيفة ضد حلفاء  
الأمس .

ولقد عبر "دالاس" في حديثه مع سفير إسرائيل في واشنطن "أبا إيبان"  
عن تطلعات بلاده وسياستها الجديدة ، فبعد أن أنهت بريطانيا حسب رأيه  
في الشرق الأوسط ، أصبح حلف بغداد واحداً من مخلفات التاريخ ، وجاء  
الوقت الآن لكي تتقدم الولايات المتحدة ، وتقيم نظاماً جديداً في المنطقة ،  
تتحمل فيه المسؤولية وحدها ومباشرة ، إن الولايات المتحدة لم تعد في حاجة  
إلى أن تتواري وراء أصدقائها القدامى ، فلقد لعبوا أوراقتهم بحماقة  
وخسروا، وتركوا وراءهم في الشرق الأوسط فراغاً على الولايات المتحدة  
أن تملأه .. . إن لدى الرئيس خطة كاملة لمستقبل الشرق الأوسط وهي  
تتضمن ترتيبات سياسية وعسكرية ، ومساعدات إقتصادية واسعة (١١٩) .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

ومما له دلالة تصريح " أيزنهاور " يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٦ بعد إنتخابه رئيساً للولايات المتحدة لمدة جديدة ، بأنه سيعمل على " لم القطع والشظايا المتبقية من الشرق الأوسط بعد أزمة السويس (١٧٠) . We have to pick the bits, pieces in the Middle East

لذلك أعلن وحتى قبل إتمام القوات المعتدية لإنسحابها ، أن الولايات المتحدة على إستعداد ، لتقديم المساعدات من خلال معاهدات ثنائية ، وإنها على إستعداد لتقدم قرضاً لمصر بـ ٧٥ مليون دولار ، وإنها ستقدم كميات محدودة من الأسلحة والمساعدات الإقتصادية وبعثات التدريب ، كما أنها على إستعداد لتمويل السد العالي ويمكن أن تتفاوض من أجل معاهدات أمنية مع إسرائيل والدول العربية . . إلخ (١٧١) . وهذه التصريحات هي التي ستتلور فيما بعد في نظرية ملء الفراغ في الشرق الأوسط .

وفيما يتعلق بالحلفاء ، رفض " أيزنهاور " مقابلة " إيدن " و " موليه " قبل إنسحاب القوات البريطانية والفرنسية من مصر ، ووصل الأمر إلى حد تسول " إيدن " لهذه المقابلة ، دون جدوى (١٧٢) .

واللافت للنظر أن " إيدن " وربما للمرة الأولى قد فهم وشخص موقف " أيزنهاور " منذ إنفجار أزمة السويس ، حيث أفتتح بأن: " الولايات المتحدة الأمريكية قد وقعت تحت سيطرة فكرة واحدة ، هي إضطهاد حلفائها . . إذ كانت كل إجراءات الحكومة الأمريكية تتجه إلى تحقيق عكس ما يريدون " (١٧٣) . ولعل هذه العبارة هي ما دفعت البعض إلى صك مصطلح " صراع الحلفاء " على علاقات وسياسات الولايات المتحدة الأمريكية ، إبان وبعد الحرب العالمية الثانية من جهة ، وتراجع بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى أمام طغيان القوة الأمريكية .

على أية حال ، بدأ " أيزنهاور " يستغل " الورقة البترولية " إذ أن إصلاح القناة كان سيستغرق ثلاثة أشهر وربما أكثر ، ولم يكن أمام أوروبا إلا المساعدة الأمريكية حيث كان بإمكان الناقلات الأمريكية نقل خمسمائة ألف برميل يومياً من جنوب أمريكا بالإضافة إلى تحويل ٣٥٠ ألف برميل أخرى كان يتم إستيرادها من المنطقة في الأحوال العادية ، وكانت هذه الكمية تكفي لسد ١٥ أو ٢٠% من حاجات أوروبا البترولية ، والباقي يمكن تغطيته بترشيد وتقييد الإستهلاك<sup>(١٧٤)</sup>.

ولم يُفوت " أيزنهاور " الفرصة التي سنحت له ، حيث كان في يده إنقاذ أوروبا بإمدادها بالبترول<sup>(١٧٥)</sup> وكان هذا يتسق مع رغبته في الضغط على بريطانيا وفرنسا ليركوا للولايات المتحدة مكان الصدارة في الشرق الأوسط ، دون أن " يجردهم تماماً من ملابسهم " لذلك قدم كل ما كان يستطيعه من " أوراق التوت " ليستر حلفائه طالما قبلوا أن يعترفوا له بالصدارة . ومن ذلك :

- أنه أصدر أوامره يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦ بالبدا في إرسال شحنات البترول العاجلة إلى بريطانيا .
- البدء في المفاوضات حول تقديم المساعدات المالية التي تحتاجها بريطانيا بصورة عاجلة .

ومع ذلك بدأت بريطانيا تعاني من أزمة إقتصادية ، كانت في مجملها واحدة من أهم مؤشرات نهاية دورها الإمبراطوري ، حيث بدأ ترشيد إستخدام الجازولين وشوهدت السيارات تصطف في طوابير إنتظار طويلة أمام محطات الوقود ، وقفزت أسعار الصلب بنسبة ٦%<sup>(١٧٦)</sup> .

وعلى أثر الأزمة الإقتصادية ، وإعتماد بريطانيا على الولايات المتحدة ، إنعقد مؤتمر " برمودا " في مارس ١٩٥٧ — بعد إستقالة " إيدن " — وانتهى بإكراه الحكومة البريطانية على تخفيض إلتزاماتها ، ولعل ماجرى في هذا

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

المؤتمر يُعد الأغرب من نوعه في تاريخ الإمبراطوريات ، فقد ظهرت فيه إمبراطورية قديمة تُسلم ممتلكاتها لإمبراطورية جديدة ، وتوقع صكاً بعملية التسليم والتسلم وكان الأقاليم والدول أشبه بالبضائع في الأسواق والمخازن ، أو على ظهور السفن ، كان عنوان الوثيقة التي خرجت عن المؤتمر: " إتفاق على تخفيض الإلتزامات البريطانية وراء البحار " ولعل أهم ماجاء فيها :  
أولاً : أن الرئيس الأمريكي يعبر لرئيس الوزراء البريطاني - هارولد ماكميلان عن فهمه للضرورات التي تدعو الحكومة البريطانية إلى تخفيف أعبائها في الشرق الأوسط ، وهو يتعاطف مع رغبة هذه الحكومة في جعل إلتزاماتها في المنطقة متوازنة مع مواردها الإقتصادية والعسكرية .

ثانياً: أن الرئيس - الأمريكي - أخطر رئيس الوزراء البريطاني أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستطيع تحمل كل الأعباء البريطانية التي ترى الحكومة البريطانية أنها مضطرة إلى التخلي عنها ، ولهذا فإن الولايات المتحدة تأمل في أن تواصل الحكومة البريطانية إخطار الحكومة الأمريكية بخطتها في المستقبل .

ثالثاً : أن الرئيس سوف يتخذ الترتيبات التي تكفل إستمرار التشاور مع الحكومة البريطانية في المسائل والحالات التي يتعين فيها إستطلاع الرأي ، وسوف يكون ذلك موضع الإعتبار .

رابعاً: أن الرئيس - الأمريكي - يعرب عن أمله في أن الحكومة البريطانية سوف تقوم بتخفيضات تدريجية ومنقاه ، بما يناسب المصالح الغربية بصفة عامة ، ويتفق مع مطالب الأمن الضرورية للسلامة المشتركة .  
خامساً: أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقدم للحكومة البريطانية دعماً مالياً فورياً مقداره أربعمائة مليون دولار<sup>(١٧٧)</sup>.

واعتقد أن الوثيقة لا تحتاج إلى تعليق ، أبلغ من أنها شاهد على غروب شمس الإمبراطورية البريطانية ، وتسليم زمام الأمور فيما يتعلق بالعلاقات الدولية سياسية كانت أم إقتصادية أم عسكرية للإمبراطورية الجديدة .

أما رئيس الوزراء " أنتوني إيدن " الذي كان على موعد مع سنوات إمبراطوريته الأخيرة ، فقد إستقال من رئاسة الوزراء في التاسع من يناير ١٩٥٧ ، وعندما رحل عن الدنيا عام ١٩٧٧ كتبت جريدة " التايمز اللندنية " وهي تتعبه : " مات آخر رئيس وزراء بريطاني آمن بأن بريطانيا مازال قوة عظيمة وأول من واجه أزمة أثبتت أنها لم تعد كذلك " (١٧٨) . ورغم دقة ما ورد في هذا النعي ، إلا أنه تجاهل دور التناقضات التي إستعرت بينه وبين حليفته الولايات المتحدة الأمريكية في إنهاء مستقبله السياسي وحياة الإمبراطورية في آن واحد .

## الهوامش

- (١) لمزيد من التفاصيل حول سقوط الإمبراطورية ، أنظر ، إدريس كوكس سقوط الإمبراطورية ( ترجمة : محمد رشاد ، دار التحرير ، القاهرة ١٩٦٤ ) ص ص ١٢ — ٢٥ .
- (٢) بول كيندي ، القوى العظمى ( ترجمة : عبد الوهاب علوب ، مركز إين خلدون ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، ١٩٩٣ ) ص ٥١٠ .
- (٣) نفس المرجع ، ص ص ٥١٠ — ٥١١ .
- (٤) مجموعة من المفكرين ، الإمبراطورية الأمريكية ( تحرير : رضا هلال الجزء الأول ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠١ ) ص ٨ ، ١٥٦ ؛ بول كيندي ، المرجع السابق ، ص ٥١٢ ؛ أنظر أيضاً Donald, W.White, the American Century: The Rise and Decline of the university Pren a world Power (Yale University Pren 1977).
- (٥) بول كيندي ، المرجع السابق ، ص ٤٨٥ .
- (٦) نفس المرجع ، ص ٥١٢ ، لكن البعض يشير إلى أن ميزانية الدفاع الأمريكية زادت من مليار دولار عام ١٩٤٠ إلى ٨١ مليار دولار عام ١٩٤٥ مجموعة من المفكرين ، الإمبراطورية ، ج ١ ، ص ٨ .
- (٧) لمزيد من التفاصيل ، أنظر ، محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية الأمريكية ( دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ) ص ٨٥ ؛ ميشال بوغنون ، وآخر أمريكا التوتاليتارية ( ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الشافعي ، بيروت ٢٠٠٢ ) ص ١٠٥ .
- (٨) حول قانون الإعارة والتأجير ، أنظر ، تشرشل ، مذكرات ( ترجمة ، إخترننا لك ، ج ٣ ، القاهرة ، بدون ) ص ص ٦١ — ٦٢ . أنظر ، هيكل الإمبراطورية ، ص ٩٨ .
- (٩) نفس المرجع ؛ وله أيضاً ، ملفات السويس ٠٠ حرب الثلاثين عاماً ( الأهرام القاهرة ، ١٩٨٦ ) ص ص ٣٨ — ٣٩ .
- (١٠) نفس المرجع ، ص ٨٥ . نفس المرجع .
- (١١) كان مطار " باين " يقع في نفس المكان الذي يقع فيه الآن مطار القاهرة .

(١٢) هيكل ، الإمبراطورية ، ص ٨٥ ، أنظر مذكرات تشرشل ، ج ٥  
ص ٢٩ ، ٣١ .

(١٤) نفس المرجع ، ص ٩٢ .

(١٥) هيكل ، ملفات السويس ، ص ٤٠ .

(١٦) نفس المرجع ، ص ٣٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل حول علاقة تشرشل وروزفلت  
أنظر ، مذكرات ونستون تشرشل ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص  
٥٦—٥٩ .

ج ٤ ، ص ٢١ ، ١٣٨ .

(١٧) ميشال بوغنون ، المرجع السابق ، ص ٩٦—٩٧ ؛ أنظر أيضاً  
مذكرات الجنرال ديغول ( ترجمة : د. سموي فوق العادة ، منشورات عويدات  
القاهرة ، ١٩٧١ ) ؛

Nikolai Molchanov, De Gaulle: his life and work (Progress publisher, Mosco,  
1980).

(١٨) فضلاً عما ورد في مذكرات ديغول نفسه عن موقف روزفلت  
ورجال الإدارة الأمريكية منه ، فقد أورد تشرشل في مذكراته الكثير  
من ذلك أنظر ، مذكرات تشرشل، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٨—  
١٤٣ .

(١٩) هيكل ، الإمبراطورية ، ص ٩٢ .

(٢٠) نفس المرجع .

(٢١) تعبير القرن الأمريكي صكه " هنري لوس " ناشر مجلة "

تايم " و " لايف " وذلك في فبراير ١٩٤١ ، ثم شاع استخدامه بعد ذلك .

(٢٢) راجع نص الوثيقة ، هيكل ، الإمبراطورية ، ص ٩٣—٩٤ ؛

مجموعة من الكتاب والمفكرين ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٢٣) نفس المرجع ، ص ٩٣ ؛ أنظر أيضاً :

Glen, Balfour, Paul, The End of Empire in the Middle East  
(Cambridge University press, USA, 1993) pp, 18- 15.

(٢٤) جيفري أرونسن ، أمريكا تخرج من الظل ( ترجمة : سامي الرزاز ،

دار البيادر ، القاهرة ، ١٩٨٧ ) ص ٢١ — ٢٢ .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

(٢٥) وكذلك الإستفادة من المشاكل التي يطرحها وجود الصهاينة في فلسطين

أرونسن ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢٦) أندرسون ، المرجع السابق ، ص ص ٢٢—٢٣ .

(٢٧) نفس المرجع ، ص ٢٣ ؛ أنظر أيضاً

FRUS 1947 Vol.1x, Henderson to Lovett, 28Augs, 1947.

(٢٨) نفس المرجع ، ص ٢٣ .

(٢٩) نفس المرجع ، ص ص ٢٣—٢٤ .

(٣٠) نفس المرجع ، ص ٢٣ .

(٣١) لمزيد من التفاصيل ، نفس المرجع ، ص ص ٢٣ — ٢٧ .

(٣٢) نفس المرجع ، ص ٢٧ .

(٣٣) نفس المكان .

(٣٤) نفس المكان .

(٣٥) لمزيد من التفاصيل ، نفس المرجع ، ص ص ٢٧ — ٢٩ .

(٣٦) نفس المرجع ، ص ٢٩ .

(٣٧) نفس المرجع ، ص ص ٣١ — ٣٢ ؛ وأنظر نص وثيقة الخارجية الأمريكية

في المجلد التالي :

FRUS 1948, Vol.1, pp.665 .

FRUS 1949 Vol.1,p.286 .

(٣٨)

(٣٩) نفس المرجع ، ص ٣٠ ؛ أنظر أيضاً

New York Times March, 7, 1949, p.3.

(٤٠) راجع قرار مجلس الشيوخ رقم ٢٣٩ الذي أقر يوم ١١ نوفمبر ١٩٤٨ ؛

FRUS 1949, Vol.6, p.33.

(٤١) أرونسن ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ؛

FRUS 1949, Vol.6, p.32.

(٤٢) نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(٤٣) نفس المرجع ، ص ٣٥ .

(٤٤) نفس المكان .

(٤٥) نفس المرجع ، ص ص ٥٤ — ٥٥ .

(٤٦) نفس المرجع ، ص ٥٧ .

(٤٧) نفس المرجع ، ص ٥٩ .

(٤٨) كان الرئيس الأمريكي ترومان قد أعلن برنامج الأمن المتبادل MSP في مايو ١٩٥٠ كأداة في الصراع ضد الذين ينادون الحيادة أو الذين يفجرون الثورات الاشتراكية ، وكان البرنامج يهدف إلى تدعيم العناصر الموالية للغرب داخل الدول المتلقية للمعونة الأمريكية .

(٤٩) مما له دلالة أن الجيش الأمريكي كان واثقاً من أن قبول العرب للشروط الواردة في برنامج الأمن المتبادل من شأنه أن يفتح دوراً نشطاً للولايات المتحدة في الوطن العربي ، لذلك ألحق ثلاثون ضابطاً أمريكياً بالجامعة الأمريكية في بيروت لحضور دورة دراسية مكثفة في التاريخ والسياسة والثقافة العربية .

(٥٠) أرونسن ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٥١) نفس المرجع ، ص ٦٥ .

(٥٢) نفس المرجع ، ص ٦٩ .

(٥٣) نفس المرجع ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٥٤) نفس المرجع ، ص ٧٢ .

(٥٥) نفس المرجع ، ص ٧٥ .

(٥٦) نفس المرجع ، ص ٧٦ .

(٥٧) نفس المرجع ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٥٨) نفس المرجع ، ص ٨٥ .

(٥٩) نفس المرجع ، ص ٨٦ .

(٦٠) مايلز كوبلاند ، لعبة الأمم (ترجمة : مروان خير ، بيروت ، ١٩٧٠) ص

ص ٨٠ — ٩٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل ، أنظر ، جمال شقرة ، الحركة

السياسية في مصر ١٩٥٤ — ١٩٦١ (رسالة دكتوراة ، غير منشورة ،

القاهرة ١٩٩٣) ص ١٣ — ١٤ .

(٦١)

FRUS 1952-1954 Vol.1x the charge in the United Kingdom (Holmes) to the Department of state (London, July, 23, 1952). ,

وحول خطة التدخل RODEO أنظر ، هيكل ، ملفات السويس ( الأهرام

١٩٨٦ ) ص ص ١٤٦ — ١٤٩ .

New York Time,(July,24,28,29,1952)pp.26,14,20 .

(٦٢)

Acheson, D. Present at the creation (New York, 1969),  
FRUS 1953- 1954 Vol.4 the Ambassador in Egypt  
(caffery) to the Department of state (Cairo, Augu, 7, 20, 1952).

• أرونسن ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ (٦٣)

• نفس المكان (٦٤)

• نفس المكان (٦٥)

• نفس المرجع ، ص ١٠١ (٦٦)

(٦٧)

FRUS, 1952-1954, Vol.4 the Acting Secretary of state to  
The Embassy in Egypt (Washington, Jan, 21, 1954).

وأنظر أيضاً

Balfour, op.cit, pp.37-48.

• أرونسن ، المرجع السابق ، ص ١١٠ (٦٨)

• جمال شقرة ، المرجع السابق ، ص ٣٣٣ — ٣٤١ (٦٩)

(٧٠)

FRUS 1952-1954 Vol.4 the Secretary of State to the Embassy  
In Egypt (Washington, Sept, 30, 1952) New York Times, Augu, 8, 1952 P 1.

(٧١)

NSC Memorandum of Discussion of the 147 meeting, June  
1, 1953 PP 1-2.

• أرونسن ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ (٧٢)

• نفس المرجع ، ص ١١٩ — ١٢٠ (٧٣)

(٧٤)

New York Times, Dec.30, 1953, p.3.

• أرونسن ، المرجع السابق ، ص ١٢١ (٧٥)

• نفس المرجع ، ص ١٢٢ (٧٦)

• نفس المرجع ، ص ١٢١ — ١٢٣ (٧٧)

• أنظر نص تقرير جون فوستنر دالاس ، أرونسن ، المرجع (٧٨)

• السابق ص ١٢٣ — ١٢٤

• نفس المرجع ، ص ١٣٠ — ١٣٣ (٧٩)

• نفس المرجع ، ص ١٣٣ (٨٠)

• نفس المرجع ، ص ١٣٧ — ١٣٨ (٨١)

- (٨٢) نفس المرجع ، ص ص ١٤٩ — ١٥٠ .
- (٨٣) نفس المرجع ، ص ١٤٣ .
- (٨٤) لمزيد من التفاصيل أنظر ، نفس المرجع ، ص ص ١٥٣ — ١٦٠ .
- (٨٥) دونالدنيف ، حرب السويس ( ترجمة : أحمد خضر ، عبد السلام رضوان مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٠ ) ص ١٩١ .
- (٨٦) نفس المرجع ، ص ص ١٩١ — ١٩٢ .
- (٨٧) أصبح فيما بعد مندوب بريطانيا في الأمم المتحدة .
- (٨٨) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
- (٨٩) نفس المرجع ، ص ١٩٣ .
- (٩٠) نفس المرجع ، ص ١٩٢ .
- (٩١) زاد من حق إيدن أنه تردد أن دالاس هو الذي كتب الرسالة وأرسلها إلى رئيس وزراء اليابان سيجور يوشيدا ، ليوقعها .
- (٩٢) نفس المرجع ، ص ١٩٣ .
- (٩٣) نفس المكان .
- (٩٤) نفس المرجع ، ص ص ١٩٣ — ١٩٤ .
- (٩٥) نفس المرجع ، ص ١٩٣ .
- (٩٦) نفس المرجع ، ص ١٩٤ .
- (٩٧) نفس المكان .
- (٩٨) نفس المكان .
- (٩٩) نفس المرجع ، ص ١٩٥ .
- (١٠٠) لمزيد من التفاصيل ، أنظر ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ص ١٩٥ — ١٩٧ .
- (١٠١) نفس المرجع ، ص ١٩٦ .
- (١٠٢) نفس المرجع ، ص ١٩٧ .
- (١٠٣) نفس المرجع ، ص ١٩٨ .
- (١٠٤) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ .
- (١٠٥) نفس المرجع ، ص ١٩٩ .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

- (١٠٦) لمزيد من التفاصيل أنظر ، نفس المرجع ، ص ص ١٨٥ — ٢٠٩ ؛  
أرونسن ، المرجع السابق ، ص ٢٦٧ ؛ أنظر ، دار في إجتماع مجلس  
الأمن القومي الأمريكي قبل زيارة إيدن ، هيكل ، ملفات السويس  
ص ص ٣٩٥ — ٣٩٩ .
- (١٠٧) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .
- (١٠٨) نفس المرجع ، ص ٢٠٠ .
- (١٠٩)

FRUS 1955- 1957 Vol.15 Memorandum from the Secretary  
Of State to the President (Washington, Marc, 1956),

- أنقوني إيدن ، مذكرات (ترجمة : دار ومكتبة الحياة ، القسم الثاني ،  
بيروت بدون ) ص ١١٠ .
- (١١٠) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
- (١١١) نفس المرجع ، ص ٢٠٦ .
- (١١٢) نفس المرجع ، ص ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .
- (١١٣) نفس المرجع ، ص ٢٠٧ .
- (١١٤) نفس المرجع ، ص ٢٤١ .
- (١١٥) نفس المرجع ، ص ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .
- (١١٦) نفس المرجع ، ص ٢٧٥ .
- (١١٧) أعرب إيدن في مذكراته عن ضيقه الشديد من موقف الولايات المتحدة  
الأمريكية من حلف بغداد ، وتهكم على دبلوماسيتها في الخمسينيات عندما  
أطلق عليها مصطلح الدبلوماسية الرجراجة التي تسعى لإكتساب ود  
حلفائها . أنظر إيدن المصدر السابق ، ص ص ١١٢ — ١١٣ .
- (١١٨) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .
- (١١٩) بدأت تظهر لهجة معادية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في البرلمان  
البريطاني ، حتى أن " إيرل أتلي " رئيس الوزراء العمالي السابق أعرب  
عن غضبه إزاء ذلك الأسلوب العتيق ، الذي تمارسه أمريكا في مناهضة  
الإستعمار ، أنظر نماذج لنصوص الإنتقادات : دونالدنيف ، المرجع  
السابق ص ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

- (١٢٠) نفس المرجع ، ص ٢٩٧ .
- (١٢١) أنتوني ناتنج ، ناصر (ترجمة : شاكرا إبراهيم سعيد ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، ١٩٨٥ ) ص ١٧٤ ؛ أنظر أيضاً ستيفن جرين ، حكومة أيزنهاور والعدوان الثلاثي على مصر ( وثائق ندوة السويس الدولية دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٩ ) ص ٩٧ - ٩٨ محمود رياض البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط ( المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٨١ ) ص ١٣١-١٣٢ .
- (١٢٢) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .
- (١٢٣) عبر إيدن في مذكراته عن ضيقه الشديد من قرار الولايات المتحدة بإلغاء تمويل السد العالي دون أن يُستشار مسبقاً ، وحمل الولايات المتحدة مسؤولية استقزاز عبد الناصر " لقد أسفنا لأن هذا الإجراء تم بهذه الصورة المباغتة ولم يعط بلدنا الفرصة للتوفيق بين أسلوب التنفيذ وتوقيعه ، وكان عبد الناصر وقتئذ في بريوني مجتمعاً مع تيتو ونهرو فأحس أن هذا القرار قد جرح كبراًؤه ؛ أنظر إيدن ، المصدر السابق ص ٢٣١ .
- (١٢٤) إيدن ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٧ .
- (١٢٥) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .
- (١٢٦) هيكل ، ملفات السويس ، ص ٤٧١ .
- (١٢٧) نفس المرجع ، ص ٣٧٧ .
- (١٢٨) إيدن ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
- (١٢٩) نفس المصدر ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٧ .
- (١٣٠) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٣٧٨ ؛ أنظر نص رسالة أيزنهاور لإيدن : إيدن ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
- (١٣١) لمزيد من التفاصيل أنظر ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ هيكل ، ملفات السويس ، ص ٤٧٦ .
- (١٣٢) أنظر مذكرات أيزنهاور ( ترجمة : هيوبرت يونغمان ، بيروت ، ١٩٦٩ ) ص ٦٤ - ٧٧ ؛ هيكل ، ملفات السويس ، ص ٤٧٦ - ٤٧٨ .
- (١٣٣) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٣٨٤ - ٣٨٥ ؛ هيكل ، ملفات السويس ، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

- (١٣٤) نفس المرجع ، ص ٣٨٩ ؛ إيدن ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .
- (١٣٥) نفس المرجع ، ص ٣٩٠ .
- (١٣٦) نفس المرجع ، ص ص ٣٩٢ — ٣٩٣ .
- (١٣٧) إيدن ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .
- (١٣٨) راجع نص رسالة أيزنهاور : إيدن ن المصدر السابق ، ص ص ٢٥١ — ٢٥٢ .
- (١٣٩) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .
- (١٤٠) نفس المكان .
- (١٤١) لمزيد من التفاصيل ، نفس المرجع ، ص ص ٣٩٣ — ٣٩٤ .
- (١٤٢) نفس المرجع ، ص ٣٩٥ .
- (١٤٣) أكد إيدن في مذكراته أن دالاس لم يستبعد استخدام القوة ، بشرط إستنفاد جميع الوسائل الأخرى ، وأن العبارة التي جاءت على لسانه " أن يجعل عبد الناصر يتقياً القناة " لا يمكن أن تفهم على عكس مافهمه هو وقتها بل أنه فهم أن دالاس سيلتقن عبد الناصر درساً في ضرورة إحترام المعاهدات الدولية ، راجع ، إيدن ، المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
- (١٤٤) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٣٩٦ .
- (١٤٥) لمزيد من التفاصيل ، أنظر ، نفس المرجع ، ص ص ٣٩٧ — ٣٩٨ .
- (١٤٦) نفس المرجع ، ص ٣٩٨ .
- (١٤٧) نفس المرجع ، ص ص ٤٠٤ — ٤٠٧ .
- (١٤٨) إيدن ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٧ — ٢٧٨ ؛ دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .
- (١٤٩) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٠٩ .
- (١٥٠) نفس المرجع ، ص ص ٤١٥ — ٤١٨ .
- (١٥١) نفس المرجع ، ص ٤١٩ .
- (١٥٢) لمزيد من التفاصيل ، أنظر ، إيدن ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٨ — ٢٨٩ .
- (١٥٣) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .
- (١٥٤) نفس المرجع ، ص ٤٢١ .

- (١٥٥) نفس المكان .
- (١٥٦) إيدن ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩ - ٢٧٣ ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .
- (١٥٧) راجع نص التصريح في المصدر السابق ، ص ٢٧١ .
- (١٥٨) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٣٩ ، إيدن ، المصدر السابق ص ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .
- (١٥٩) أنظر نص خطاب أيزنهاور لأيدن ، وهو الخطاب الذي أسماه إيدن بالخطاب المزعج ، وأن أيزنهاور تراجع فيه عن إستخدام القوة ضد عبد الناصر ، إيدن ، المصدر ، ص ٢٩٠ ، وأنظر أيضاً إشارته إلى وصول التناقض والخلاف بينه وبين أيزنهاور إلى منتهاه ، ص ٣٠٥ .
- (١٦٠) يمكن رصد تصاعد غضب إيدن في مذكراته ، حيث سيتهم الولايات المتحدة بأنها أنانية ، وأنها تمتلك طريقة أمريكية في التفكير ، لاتخدم بها إلا مصالحها ، راجع ، إيدن ، ص ص ٢٨٠ - ٢٨٦ ؛ ٣٩٥ - ٣٩٧ .
- (١٦١) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .
- (١٦٢) نفس المرجع ، ص ص ٤٥٠ - ٤٥١ .
- (١٦٣) نفس المرجع ، ص ٤٥١ .
- (١٦٤) إن كان إيدن لم يستعمل تعبير الخيانة الأمريكية ، لكنه ذكر أن الولايات المتحدة " عملت ضدنا ، ومن أجل مصالحها ، وأنها سعت من أجل تدمير الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، وأنها وقفت ضد بريطانيا في الجمعية العمومية ، وأنها خذلتنا " . أنظر إيدن ، المصدر السابق ص ص ٣٨٢ - ٣٨٥ ؛ ٣٩٥ - ٣٩٧ ؛ حول هجوم الصحافة البريطانية على الولايات المتحدة البريطانية ، أنظر ، دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ص ٤٥١ - ٤٥٢ .
- (١٦٥) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٤٥١ .
- (١٦٦) نفس المرجع ، ص ٥٣٥ .
- (١٦٧) نفس المرجع ، ص ٥٧١ .
- (١٦٨) نفس المكان .
- (١٦٩) هيكل ، ملفات السويس ، ص ٥٨٦ .

خمسون عاماً على العدوان الثلاثي ١٩٥٦

- (١٧٠) أنظر نص التصريح ، هيكل ، ملفات السويس ، ص ٥٧٥ .
- (١٧١) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٥٧٢ .
- (١٧٢) إيدن ، المصدر السابق ، ص ٤٣٣ .
- (١٧٣) نفس المصدر ، ص ص ٤٣٣-٤٣٤ ؛ راجع رأي إيدن في الإتجاه الجديد الذي سيطر على السياسة والتفكير الأمريكي ، المصدر السابق ، ص ص ٤٢٤ ، ٤٣١ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ .
- (١٧٤) حول تقرير آرثر فيلمنج ، أنظر ، دونالدنيف ، المرجع السابق ص ص ٥٧٥-٥٧٦ .
- (١٧٥) نفس المرجع ، ص ٥٧٦ .
- (١٧٦) حول مظاهر الأزمة الإقتصادية في بريطانيا بعد انتهاء العدوان الثلاثي أنظر ، إيدن ، المصدر السابق ، ص ٤١٨ ؛ دونالدنيف ، المصدر ص ص ٥٩٧-٧٩٩ .
- (١٧٧) أنظر نص الوثيقة ، هيكل ، الإمبراطورية ، ص ص ٩٤-٩٥ ؛ أنظر رواية أيزنهاور حول مقابله وحديثه مع رئيس الوزراء الجديد ، هارولد ماكميلان ، أينهاور ، المصدر السابق ، ص ص ٧٥-٧٧ .
- (١٧٨) دونالدنيف ، المرجع السابق ، ص ٥٩٨ .